سيرة

مار افرام السرياني

ܫܪܒܐ ܕܡܪܝ ܐܦܪܝܡ

تاليف

مار اغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

للسريان الارثوذكس

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܒܐ
ܐܘ ܦܚܡ ܡܢܗ ܡܕܡ ܘܗܘܐ ܡܫܬܠܛ ܥܠܝܗ ܡܚܡܠܐ
ܘܢܣܒܐ ܡܢ ܒܗ ܢܚܠܦܝܐ ܘܦܢܐ ܕܢܣܒ ܢܦܠ ܐܘ
ܥܠܝܗ ܠܗ ܦܢܐ ܟܠ ܕܢܣܒ ܗܘܐ ܠܗ ܦܢܐ ܥܠܝܗ
ܢܣܒܘܢ ܕܒܐ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܡܘܠܟܘ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

سيرة

مار افرام السرياني

ܫܪܒܐ ܕܡܪܝ ܐܦܪܝܡ

يرصد ريعه للفقراء

باشراف هيئة السيدات الخيرية

بطريركية السريان الأرثوذكس

باب توما ـ دمشق

★ ★ ★

١٥٠٠ نسخة ١٩٨٤/٣/

الطبعة الثانية

مطابع ألف باء ـ الأديب ـ دمشق

الناشر : **بطريركية السريان الأرثوذكس** ـ دمشق

تصميم الغلاف : أكرم أفدار

سيرة

مار افرام السرياني

ܫܪܒܐ ܕܡܪܝ ܐܦܪܝܡ

تأليف

مار أغناطيوس زكا الأول عيواص

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

للسريان الأرثوذكس

صدر بمناسبة مهرجان مار افرام ـ حنين

بغداد ـ ٤ ـ ٧ سباط ١٩٧٤

الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٨٤

يرصد ريعه للفقراء

باشراف هيئة السيدات الخيرية

بطريركية السريان الأرثوذكس

باب توما ـ دمشق

★ ★ ★

١٥٠٠ نسخة ١٩٨٤/٣/

الطبعة الثانية

مطابع ألف باء ـ الأديب ـ دمشق

الناشر : **بطريركية السريان الأرثوذكس** ـ دمشق

تصميم الغلاف : أكرم أفدار

سيرة

مار افرام السرياني

ܬܫܥܝܬܐ ܕܡܪܝ ܐܦܪܝܡ

تأليف

مار أغناطيوس زكا الأول عيواص
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق
للسريان الأرثوذكس

صدر بمناسبة مهرجان مار افرام - حنين
بغداد - ٤ - ٧ شباط ١٩٧٤

الطبعة الثانية - دمشق ١٩٨٤

تصـــــديـــــر

ايه أفرامنا العظيم !

« يا شمس السريان وكنارة الروح القدس » .

يا معلم الكنيسة الجامعة .

قد اتخذنا أناشيدك العذبة الشجية صلوات نرفعها لله تعالى صباح مساء .

وجعلنا من قصائدك البديعة طقوساً دينية وفرائض روحية ، ونصوصاً سائغة عذبة ، نترنم بها في أفراحنا وأتراحنا.

ففي ذكراك نرفع الهامة مفاخرين بك العالم . حيث انك رفعت رايتنا عالياً ، وفزت بالقدح المعلى زهداً وتقى ، وحملت مشعل العلم والثقافة ، وتقدمت صفوفنا ، فلا غرو منا اذا كنا نعطر بترداد اسمك المبارك أفواهنا وشفاهنا .

ايه يا مرشد الشبان وأكسير قوتهم !!

أطلّ علينا اليوم بطلعتك البهية ، فنحن بأمس الحاجة اليك معلماً ومرشداً .

لقد علمتنا أن نتفانى في خدمة مواطنيننا ، فنرشد الأغنياء منهم ليمدوا يد العون للفقراء ، والأقوياء ليسندوا الضعفاء ، وأن نواسي المرضى ، ونعزي الحزانى ·

لقد علمتنا خاصة أن نهيم في حب وطننا ، ونذود عن حياضه ، ونضحي بالغالي والنفيس في سبيل نصرته ·

فلنا في ذكراك يا أفرامنا العظيم ، دروس قيمة في النضال.

فليبق نور سيرتك الطاهرة ، مشعلا ينير أمامنا سبيل الجهاد حتى النصر ·

بغداد ١٩٧٤/١/١

زكا

الفصل الأول

عرض عام :

قبل أن نتناول سيرة مار أفرام السرياني بالدرس والتمحيص لا بد أن نلقي نظرة عجلى الى اللغة السريانية التي كتب بها ، والأدب السرياني الذي أدركه في أوج مجده نقياً صافياً خاليا من العجمة والفكر الديني الفلسفي الذي أغناه بشعره ونثره ٠

كما لا بد لنا أن نلم بأخبار الكنيسة والعالم في عصر مار أفرام لنكتشف ينابيع المعرفة لديه والمحفزات التي دفعته الى هجر العالم، والزهد في الدنيا ، والتضحية بالنفس والنفيس في خدمة الله تعالى والانسانية المعذبة ٠

اللغة السريانية والفكر السرياني :

كانت اللغة السريانية الآرامية لغة قوم استوطنوا بلاد ما بين النهرين وارتقوا معارج الحضارة والمدنية في الأجيال السحيقة في القدم ، فنمت لغتهم وازدهرت وصارت مرنة سلسلة غنية بالألفاظ والتعابير ، وظلت أجيالا عديدة اللغة الرسمية للدول التي حكمت بلاد الشرق الأدنى ، وامتد سلطان هذه اللغة الى مصر وآسيا الصغرى وشمال بلاد العرب والهند

لقد علمتنا أن نتفانى في خدمة مواطنيننا ، فنرشد الأغنياء منهم ليمدوا يد العون للفقراء ، والأقوياء ليسندوا الضعفاء ، وأن نواسي المرضى ، ونعزي الحزانى ٠

لقد علمتنا خاصة أن نهيم في حب وطننا ، ونذود عن حياضه ، ونضحي بالغالي والنفيس في سبيل نصرته ٠

فلنا في ذكراك يا أفرامنا العظيم ، دروس قيمة في النضال. فليبق نور سيرتك الطاهرة ، مشعلاً ينير أمامنا سبيل الجهاد حتى النصر ٠

بغداد ١/١/١٩٧٤

زكا

الفصل الأول

عرض عام :

قبل أن نتناول سيرة مار آفرام السرياني بالدرس والتمحيص لا بد أن نلقي نظرة عجلى الى اللغة السريانية التي كتب بها ، والأدب السرياني الذي أدركه في أوج مجده نقياً صافياً خاليا من العجمة والفكر الديني الفلسفي الذي أغناه بشعره ونثره ٠

كما لا بد لنا أن نلم بأخبار الكنيسة والعالم في عصر مار أفرام لنكتشف ينابيع المعرفة لديه والمحفزات التي دفعته الى هجر العالم، والزهد في الدنيا ، والتضحية بالنفس والنفيس في خدمة الله تعالى والانسانية المعذبة ٠

اللغة السريانية والفكر السرياني :

كانت اللغة السريانية الآرامية لغة قوم استوطنوا بلاد ما بين النهرين وارتقوا معارج الحضارة والمدنية في الأجيال السحيقة في القدم ، فنمت لغتهم وازدهرت وصارت مرنة سلسلة غنية بالألفاظ والتعابير ، وظلت أجيالا عديدة اللغة الرسمية للدول التي حكمت بلاد الشرق الأدنى ، وامتد سلطان هذه اللغة الى مصر وآسيا الصغرى وشمال بلاد العرب والهند

والصين(١) ـ ودالت تلك الدول وزالت ولكن اللغة السريانية بقيت خالدة بتراثها الأدبي الثمين رغم الصعوبات التي جابهتها ، وعنت الدهر وتقلبات العصور ٠

وتاريخ الفكر السرياني يبدأ مع الزمن ، ولكن لم يصل الينا من الآدب السرياني قبل المسيح سوى كتاب احيقار وزير سنحاريب ملك آثور (٦٨١ ق٠م) وهو كتاب يحتوي على نصائح وحكم وفيه حكايات عدة ويظن وضعه في هذا الزمان أو حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ٠٠ كما وصلت الينا أبيات يسيرة لـ (وفا) الشاعر الآرامي الفيلسوف ، وبضع أساطير نقشت على ضرائح ملوك الرها ، ولكن هذا اليسير لا ينقع غليلا ولا يغني فتيلا(٢) ٠

ذلك أن السريان في فجر المسيحية عندما فتحوا صدورهم للدين الجديد . أبادوا جميع آثارهم الأدبية الوثنية خوفا على أولادهم من الكفر ، فانقلب الأدب عندهم الى أدب ديني مسيحي

---

١ ـ الروم ـ للدكتور أسد رستم ـ بيروت ١٩٥٥ جـ ١ ص ٤٣ و ٤٤ وكلدو واثور ـ للمطران ادي شير ـ بيروت ١٩١٣ مج ١ ص ١٦ ٠ والعصور القديمة لبراستدف ٢١١ ص ١٠٩ ٠ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ـ بيروت ١٩٥٨ ص ١١ ٠ واحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم ـ لأنيس فريحة ـ بيروت ١٩٦٢ ص ١٨ الحاشية (وطالع أيضا في سفر دانيال (٢ : ٤) حيث يتضح بأن اللغة السريانية الآرامية كانت لغة المخاطبة واللغة الدولية في المملكة البابلية ٠ وجاء بعدئذ في سفر عزرا (٤ : ٧) ان « في أيام الملك ارتحشستا كتب بشلام ومطردات وطبئيل وسائر رفاقهم الى ارتحشستا ملك فارس وكتابة الرسالة بالآرامية » وكان ذلك سنة ٥٢٢ ق٠م حيث ان الدولة الفارسية اتخذت اللغة الآرامية لغة رسمية في جميع انحاء المملكة ٠

٢ ـ اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك افرام الأول برصوم طبعة حلب ١٩٥٦ ص ٢٤ و ١٩٢ ٠

حرصوا عليه كثيراً وأخذوا يعبون كؤوسهم من جداوله الرقراقة فشفى غليلهم ·

وجاء الفكر السرياني الديني ناضجا ، حيث نُقل الكتاب المقدس بعهديه من اللغتين العبرية واليونانية الى السريانية في أواخر المئة الأولى أو صدر الثانية وهذه الترجمة تسمى بالبسيطة (فشيطتا)(٣) وقد جاءت فاتحة للأدب السرياني المسيحي وبرهاناً ناصعاً على غنى لغة السريان وتعمقهم في اللغتين العبرية واليونانية وكانت الأخيرة لغة الحضارة عصرئذ. وفي القرن الثاني أيضاً برز الفيلسوفان السريانيان طيطيانس الكاتب النحرير وبرديصان الشاعر الكبير . وفي القرن الرابع كان الفكر السرياني قد بلغ الذروة حصيلة لأجيال عديدة مثقلة بالعلم والمعرفة فمنّ علينا وأنجب لنا أفرام الشاعر المفلق وعملاق الأدب السرياني الذي لا يجارى فقد اجتمعت فيه صفات العبقرية بعقدها وسمطها فجاءت كتاباته شاهدة صادقة على نضوج الفكر السرياني في تلك العهود ·

ولم يكتف السريان بالفكر الديني بل أخذوا الثقافة اليونانية من الاسكندرية وأنطاكية ونشروها في أطراف سورية وبلاد ما بين النهرين التي كانت يومئذ نقطة اتصال ما بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية · ولما جاء العرب فاتحين، تعاضد السريان معهم ، ومدوهم بثقافة اليونان التي تبنوها وأوسعوها درساً ونقلوها الى لغتهم السريانية ثم الى لغة الضاد، وكانت هذه الثقافة تضم من العلوم الفلسفة والطب والكيمياء والفلك والرياضيات والطبيعيات وغيرها ·

---

٣ ـ اللؤلؤ المنثور ص ٥٧ و ٥٨ ·

ولم يقف السريان عند حد الترجمة بل تعدوا ذلك الى التعليق والدرس والتمحيص ، بل التأليف أيضاً ، الأمور التي ساعدتهم على تبوّؤ أسمى المراكز في البلاطات العباسية ·

فتاريخ الفكر السرياني جزء لا يتجزأ من تاريخ الحضارة البشرية لأن رجاله خدموا العالم حملوا مشعل الثقافة وسلموه اخوانهم العرب ، فنقله هؤلاء بدورهم الى أوربا عن طريق الأندلس فأناروا دياجير ظلماتها ، ولا يزال المستشرقون حتى اليوم يغترفون من بحار التراث السرياني العربي والعربي السرياني ـ فوائد جليلة هي درر غوالٍ قلما يعثرون على مثلها في سواها ·

وقد ازدهر الفكر السرياني بوساطة المدارس التي أسسها السريان في القرى والمدن والأديرة فبلغ عددها في القرن الخامس في ما بين النهرين فقط نحو خمسين مدرسة تدرس فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدارس نصيبين والرها وقنسرين. وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات(٤) فالعصر الذهبي للفكر السرياني استغرق وأوفى القرن الرابع للميلاد وامتد حتى القرن التاسع ثم بزغ ثانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر(٥) وقد ظهر للسريان في هذه الفترات الزمنية علماء أفذاذ خلفوا آثاراً علمية وأدبية وفلسفية نفيسة وعلى

---

٤ ـ عصر السريان الذهبي ـ للفيكونت فيليب طرازي طبعة بيروت ١٩٤٦ ص ١٠ وضحى الاسلام ـ لأحمد امين ـ الطبعة السادسة بالقاهرة ١٩٦١ ج ٢ ص ٥٩ ·

٥ ـ عصر السريان الذهبي ص ٥ عن روبنس دوفال : الآداب السريانية : قسم ٢ ص ٣٣٧ والأب لايور المسيحية في الدولة الفارسية ص ٣٥١ واللؤلؤ المنثور ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦ واللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية للمطران اقليميس يوسف داود طبعة الموصل ١٨٩٦ مج ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ والمروج النزهية في آداب اللغة الآرامية للمطران يعقوب اوجين منا طبعة الموصل ١٩٠١ ·

الرغم من ضياع العديد من نتاج فكرهم الجبار فلا تزال مكتبات العالم تفخر بما احتوته من تصانيفهم في شتى أفانين العلم والمعرفة ٠

فلا سبيل اذن لفهم تاريخ الفكر الانساني فهماً كاملا الا بالاطلاع على تاريخ الفكر السرياني ٠

ومما لا يختلف فيه اثنان ، ان الفكر ابن بيئته ، وخلاصة تاريخ القوم الحاملين مشعله . لذلك كان لا بد لمن يسعى لدراسة سيرة مار أفرام عملاق الفكرالسرياني الديني من أن يلقي نظرة عابرة على أحوال العالم الشرقي والكنيسة السريانية في القرن الرابع ٠

العالم الشرقي والكنيسة السريانية في القرن الرابع :

ثلاثة قرون ونيف تصرمت مذ حمل الرسل الاطهار مشعل الانجيل المقدس الى بلاد ما بين النهرين فأناروا دياجير ظلماتها ٠ وخلال تلك القرون الثلاثة كانت الكنيسة منهكة القوى ، متعبة ، اذ عانت كثيراً من ظلم الفرس والرومان وقدمت على مذبح الايمان شهداء أبراراً لا يحصى لهم عدد ٠

ويطل القرن الرابع على بلاد المشرق فيرى قسماً منها تحت حكم الدولة الرومانية في بلاد ما بين النهرين العليا وأطراف سورية وأنحاء حوض البحر المتوسط ، والقسم الآخر تحت حكم الدولة الفارسية الساسانية في بلاد ما بين النهرين السفلى ٠ وكانت هاتان الدولتان تتنازعان السلطة ، لذلك كان شبح الحرب الرهيب قد بسط جناحيه المظلمين على كل جبل من جبالها ، وفوق كل مدينة من مدنها ، وقرية من قراها ٠ ونتيجة لذلك كنت ترى ، بين الفينة والفينة ، تيجاناً تتدحرج ، وعروشاً

تتحطم ، وأوبئة تعمّ ـ ومجاعات تنتشر ، وأشلاء الناس تغطي الدروب وهي تقيم الحجة على ما وصل اليه الانسان من الانحطاط اذ بلغ أحط دركات الهمجية وبزَّ الوحوش الكاسرة شراسة ، وانقض على أخيه الانسان يمتص دمه القاني حتى القطرة الأخيرة(٦) ٠

وقد أذاقت الدولة الرومانية الكنيسة المسيحية منذ فجر النصرانية وحتى الربع الأول من القرن الرابع اضطهادات قاسية بدأت باضطهاد نيرون في سنة ٦٤ م وانتهت باضطهاد ديوقلطيانس سنة (٣٠٣ ـ ٣١٣) الذي كان الاضطهاد العاشر والأخير وهو أقسى الاضطهادات وأفظعها وقصد ديوقلطيانس بذلك تدمير الكنيسة برمتها ، واخفاء معالمها ٠ وقد بلغ الاضطهاد أوج عنفه عندما أصدر هذا الطاغية منشوره في ١٤ شباط سنة ٣٠٣ وفيه أمر عملاءه بابادة الكنائس ، وحرق الكتب المسيحية ، كما قرر أيضاً حرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية واستباحة دمائهم(٧) ٠

وكانت المسيحية في القرن الأول للميلاد ، قد انتشرت في مملكة فارس المعروفة ببلاد الآراميين ٠ وناصبتها المجوسية العداء ، لذلك لم ينج المسيحيون من اضطهادات محلية(٨) وفي

---

٦ ـ تاريخ البطريرك مار ميخائيل الكبير بالسريانية ـ طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ٠

٧ ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة ـ للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة حمص ١٩٤٠ ص ٣٤٤ ـ ٣٧٦ وتاريخ الروم ـ الدكتور أسد رستم بيروت ١٩٥٥ ج ١ ص ٣٢ ـ ٣٦ وتاريخ الرهبانية للدكتور حكيم أمين ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ٥ ٠

٨ ـ خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ـ للكاردنيال أوجين تسران ـ تعريب القس سليمان صائغ ـ الموصل ١٩٣٩ والدرر النفيسة ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩ وذخيرة الأذهان ـ للقس بطرس نصري ـ الموصل ١٩٠٥ مج ١ ص ٧٦ ٠

سنة ٢٩٦ تم الاتفاق ما بين ديوقلطيانس قيصر الروم المذكور أعلاه . ونرسي بن شابور الأول ملك الفرس ، على أن تكون ما بين النهرين تحت سلطة الدولة الفارسية وجعلت نصيبين مركزاً للعلاقات التجارية ما بين الامبراطوريتين لأنها واقعة على الحدود(٩) ·

ولكن عندما أعلن قسطنطين الامبراطور الروماني مرسوم ميلان عام ٣١٣ وفيه أقر الحكم الشرعي للمسيحيين في ممارسة شعائر دينهم ، تطورت الخصومة ما بين شابور ملك الفرس وخصمه الامبراطور الروماني ، وانقلب النزاع بينهما من نزاع مادي استراتيجي الى نزاع عقائدي ديني - وهكذا فعلى اثر عقد قسطنطين مجمع نيقية عام ٣٢٥ وهو المجمع المسيحي المسكوني الأول نجد شابور يعقد مجمعاً زرادشتيا يضم أئمة الدين المجوسي ، فيقر نصاً رسميا نهائياً لكتاب ادفستا ، ونراه على أثر فشله في الاستيلاء على نصيبين بعد أن ضيَّق عليها الحصار سنة ٣٣٨ وعاد الى بلاده مخذولا مخزياً ، واشتد وطيس غضبه على ملوك الروم أنزل بنصارى بلاده ما بين سنة ٣٤٠ وسنة ٣٧٩ اضطهادات قاسية واسعة النطاق ، ظلماً وعدواناً ، لأنهم دانوا بدين قيصر الروم(١٠) ، ولا بد من أن نذكر عن الامبراطور قسطنطين انه لئن احتضن المسيحية وسعى لنشرها لكنه لم ينزع عنه لقب « الكاهن الأعظم » اللقب الوثني الذي يجعله حامي الدين ، لذلك لم يغلق من الهياكل الوثنية سوى التي أقفرت حين تنصر أتباعها وذووها ، والتي كانت مصدراً للرجس والعهارة · ولكي لا يجرح أحاسيس الوثنيين الكثيري العدد في رومية نقل عاصمته الى بيزنطية سنة ٣٣٠ حيث وسعها

---

٩ - الروم ج ١ ص ٥٠ وكلدو وآثور مج ٢ ص ٢٧ و ٢٨ ·

١٠- ذخيرة الأذهان - ص ٧٦ - ٩٢ والدرر النفيسة ص ٤٧٠ والروم ج ١ ص ٧٥ ·

فنسبت اليه وصارت عاصمة القياصرة المسيحيين وارتأى بعضهم بأن قسطنطين لم يقتبل العماد المقدس حتى سنة ٣٣٧ أي قبيل وفاته بمدة قصيرة وكان عمره آنذاك خمساً وستين سنة فطوّبه بعد موته المسيحيون وألهه الوثنيون ، لأنه أفاد الأولين ولم يسيء الى الآخرين(١١) .

أما شابور الثاني ملك الفرس فقد رأى في المسيحيين أعداء له طالما يدينون بدين ملوك الروم ، فأصدر أمره سنة ٣٤٠ م بهدم الكنائس واستدعى الى كرخ ليدان في الأهواز الجاثليق مار شمعون برصباعي وخمسة من الأساقفة وسبعة وتسعين قساً وشماسا وأمرهم بالسجود للشمس والنار فرفضوا ـ فألقاهم في السجن ثم ضرب أعناقهم عشرة فعشرة واستشهد معهم أيضاً كوشتازاد رئيس الموالي . وكان استشهادهم بدء الاضطهاد العنيف الذي استمر مدة أربعين سنة فسمي بالاضطهاد الأربعيني، واستهدف باديء بدء رجال الأكليروس ثم شمل المسيحيين كافة في سائر مقاطعات المملكة الفارسية ، وقد تحالف ضدهم المجوس واليهود والمانويون الحاقدون الموتورون الذين راق لهم أن يروا المسيحيين معذبين ، ولم يتوقعوا أن يروا هؤلاء المؤمنين يتقدمون الى ساحات الاستشهاد زرافات ووحدانا ألوفاً مؤلفة من سائر طبقات الشعب رجالا ونساء وأطفالا يتقدمهم رجال الأكليروس وقد أظهر الجميع بطولات تفوق الوصف وبلغ عددهم بحسب رأي بعض المؤرخين مئة وستين ألفاً . ولم يرتو شابور من دمهم حتى هلك سنة ٣٧٩(١٢) .

١١ـ الطرفة النقية ـ من تاريخ الكنيسة المسيحية للخوري عيسى أسعد حمص ١٩٢٤ ص ٧٦ و ٧٧ والروم ج. ١ ص ٥٤ .

١٢ـ الدرر النفيسة ص ٤٦٥ ـ ٤٧١ وكلدو وآثور مج ٢ ص ٢٧ و ٢٨ وخلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ١٦ ـ ١٨ والتاريخ البيعي للعلامة المفريان ابن العبري بالسريانية طبعة لوفان ١٨٧٢ ج ٢ ص ٣٣ .

هذه خلاصة الخلاصات لأحوال المجتمع في بلاد ما بين النهرين العليا والسفلى في القرن الرابع للميلاد . وهي خلاصة مؤلمة يندى لها جبين التاريخ ففيها يتناحر الخير والشر ، وتتصارع قوى الظلمة والنور في المجتمعين السياسي والديني . ولا غرو فقد كان طريق الكنيسة السريانية في القرون الاربعة الأولى للميلاد مفروشا بالأشواك القاسية مخضباً بالدماء الزكية ، أتعبها الاضطهادان الوثني واليهودي ، كما أنهكها الانقسام العقائدي في صفوفها . وبينما كانت الكنيسة تجتاز هذه المراحل الحاسمة من تاريخها المجيد ، تصارع المصائب والمصاعب ، فتنتصر عليها ، كانت الأديرة ، ودور العلم تنتشر في كل مكان ، في السهول وعلى الهضاب والجبال ، وترفع أعلامها عالية وتضيء منائرها الجالسين في الظلمة وظلال الموت ، جادة في تحصيل العلوم المتنوعة والمعارف المختلفة ، وقد تخرج فيها علماء أفذاذ ضُلع بشتى المعارف .

وان ظهور البدع والآراء المتطرفة في الدين دفعت العلماء الى التتبع الفلسفي فاقترن علم اللاهوت بالفلسفة ، واتخذت الفلسفة سلاحاً للرد على المبتدعين ودحض مزاعمهم الباطلة ، واثبات حقائق الدين المستقيم بالبراهين العقلية بالاضافة الى آيات الكتاب المقدس ، فتوسع الفكر السرياني اذ ذابت فيه حضارات اليونان والرومان والفرس والعرب ، وسكب هؤلاء جميعا علومهم وثقافتهم في بودقته فخرج بنتاج جبار كتب له الخلود . ونتيجة لذلك فقد توسعت اللغة السريانية اذ دخلتها المصطلحات الفلسفية والعلمية العديدة وتنشطت وازدهرت واغتنت بالألفاظ والتعابير في شتى المجالات العلمية ، فجارت التقدم العلمي والحضاري والديني والفلسفي الذي وصل اليه العالم يومذاك .

وكان الى جانب الحركة العلمية الواسعة حركة نسكيـة مباركة فقد ظهر في هذه الفترة نساك ورهبان أتقياء عبدوا الله بالروح والحق ، وكان مار أفرام السرياني في الرعيل الأول بينهم في بلاد ما بين النهرين علماً وتقى ٠ واننا نلمس في كتاباته ما عاناه الشعب من أوزار الحروب الطاحنة وآلامها والانقسامات الداخلية القاسية وكيف أنه صمد أمام تيارات البدع متمسكـاً بايمانه بعروة وثقى فكتب له النصر المبين ٠

★ ★ ★

الفصـــل الثـــاني

المصادر القديمة لسيرة مار أفرام :

ان أول من دوّن سيرته بالسريانية تلميــذاه زينوبيوس شــماس الرهــا ، وشــمعون السميساطي ، وقــد فقد هــذان النصــان(١٣) ٠ وأما الســيرة التي بين أيدينــا فقــد كتبت بالسريانية بعد وفاته بسنين عديدة وكاتبها مجهول ، وجاءت بنصين أضيف اليهما زيادات(١٤) دسها النساخ جهلا ، وهي من نسج خيالهم ، وبعضها بعيد عن التصديق ، وبعضها قد تكون جرت لناسك ما غير مار أفرام ٠ ولا يصعب على الناقد النزيه غربلة السيرة وتجريدها مما ألصــق بها من اضافات لا تمت اليهــا بصلــة ٠

١٣ـ الدرر النفيسة ص ٥٣٦ واللؤلؤ المنثور الطبعة الثانيــة حــلب ١٩٥٦ ص ٢٥٣ ٠

١٤ـ اللؤلؤ المنثور ص ١٨٣ ودائرة المعارف البريطانية الحادية عشرة سنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ ٠ وللسيرة مخطوطــان نقلا عن الأصــل ٠ توفق يوسف سمعان السمعاني الى أحدهما في مكتبة الفاتيكان فنشر قسما منه ٠ ثم نشره كاملا المطران أسطفان عواد السمعاني الماروني عام ١٧٤٣ وبعناية ر٠ كوبيرت نشرها مع شذرات سريانية مختارة رودلفس ويسلى في روما سنة ١٩٥٢ وحفظ الثاني في باريس ونشره الأب بولس بيجان عــام ١٨٩٢ في المجلــد الثالث من ســيرة القديســين والشهداء ٠ كما نشره المستشرق يوسف أفريك عام ١٨٩٥ ونشره لامي في مجموعة تاليف مار أفرام غير المنشورة ٠ كما نشرت ترجمة هذا النص بالعربية في الموصل عام ١٨٨٣ ٠ ولسيرة مار أفرام مختصر في مخطوطين في الفاتيكــان وبرلين ونبــذ متعددة بالعربية واليونانية واللاتينية والافرنسية والانكليزية والألمانية ، قلت فيها المعلومات التاريخية الصرفة ٠

وفي أواخر القرن الخامس ظهر للسريان شاعر مفلق لا يقل عن مار أفرام علماً ونسكاً وقد أفاد من مؤلفات مار أفرام، واشتهر بالكتب التي أغنى بها الأدب السرياني ألا وهو الملفان مار يعقوب السروجي (٤٥١ ـ ٥٢١ +) الذي نظم قصيدة يتيمة على البحر الاثني عشر قرّظ بها مار أفرام(١٥) وأشاد بعبقريته وشبهه «بالينبوع الفياض الذي روت مياهه أرض الايمان، والخمرة المعتقة التي أخذت صفاتها من دماء الجلجلة» كما وصفه بالفيلسوف والمعلم الصالح الذي عمل وعلم، والفلاح الناجح الذي حرث أرض القلوب بكلمات الانجيل، والمهندس الماهر الذي أسس بنيان الايمان على صخرة الحق، والكاتب القدير الذي نسج على منوال الرسل وطبع على غرارهم، والشاعر المبدع الذي جاش قلبه كالبحر الخضم بالميامر(١٦) التي لا تحصى والمداريش(١٧) التي لا تعد. وهو يطري خاصة دعم مار أفرام الايمان المستقيم الرأي، ودحضه أصحاب البدع وخاصة هرطقات مرقيون وماني وبرديصان. ويشيد بتلقينه الفتيات أناشيده الشجية وقصائده العذبة ليترنمن بها في دورهن ويشنفن بها أيضاً آذان المؤمنين في الكنيسة، ومن هنا نعلم أن مار أفرام هو أول من أدخل الفتاة السريانية في خدمة الكنيسة، وأول من ألف جوقة من العذارى لخدمة الهيكل، وكان هو بنفسه يعلمهن الألحان ويلقنهن الميامر والمداريش، حتى شبهه مار يعقوب في قصيدته السالفة الذكر «بنسر انتصب بين

١٥ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وتاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٥٠.

١٦ـ الميامر. جمع ميمر كلمة سريانية تعنى مقالة، خطبة، قصيدة وهي الأعم.

١٧ـ مداريش. جمع مدراش كلمة سريانية تعنى، ترتيل. نشيد وهو شعر يصاغ على أوزان مختلفة وألحان شتى بلغ عددها الخمسمائة دبجها مار أفرام (٣٧٣ +) أما مستنبطه فهو برديصان (+ ٢٢٢) عن اللؤلؤ المنثور ص ٦٢٠ و ٦٢١.

الحمامات الوديعة » وأظهر ما كان يتصف به من الفضائل السامية وبخاصة الايمان والرجاء والمحبة · ويسميه تاج الأمة السريانية جمعاء(١٨) ومما يجدر ذكره أن مار يعقوب الذي أطنب في قصيدته هذه بمدح سمو تعاليم مار أفرام وقدرته الكتابية وعبقريته لم يذكر شيئاً عن حياته النسكية(١٩) · وتعتبر قصيدة مار يعقوب هذه أقدم مصدر سرياني وصل الى أيدينا وأهمه ، وقد جاءتنا نقية خالية من الزيادات والشوائب(٢٠) وحيث أن شهرة مار أفرام طبقت الخافقين ، فقد ترجم العديد من مصنفاته الى اللغة اليونانية وهو لا يزال حيا فاطلع عليها الآباء الناطقون باليونانية وأشادوا بها وبمؤلفها وقد وصل الى آيدينا بعض ما كتبه هؤلاء الآباء ، كالخطبة التي ألقاها غريغوريوس النوسي (+ ٣٩٦)(٢١) باليونانية في تأبين مار أفرام حيث أطرى فيها فضائله ، واستهلها بالآية الكريمة « ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت »

١٨- أخبار الشهداء والقديسين بالسريانية ، نشرة الأب بولس بيجان ٣ : ٦٦٥ - ٦٧٩ ·

١٩- تاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٥٠ عن المصدر السابق ·

٢٠- المخطوطات السريانية في مكتبة الفاتيكان تحت رقم ١١٦ - الميمر الرابع في مار أفرام · وقد كتبت المخطوطة سنة ٨٥٧ م ·

٢١- هو أخو القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية قبدوقية (+ ٣٧٩) وأصغر منه سنا · ولد في قيصرية قبدوقية نحو سنة ٣٣٥ وتعمق في العلم ثم علم الخطابة · وتزوج ثم هجر زوجته وترهب ، ورسمه أخوه القديس باسيليوس الكبير أسقفا لمدينة نوسة في قبدوقية سنة ٣٧١ وتوفي نحو سنة ٣٩٦ · ألف كتبا عديدة تدل على تعمقه بالكتاب المقدس وتفسيره وعلم اللاهوت والفلسفة والأدب · (تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس · طبعة بيروت ١٨٩٩ مج ٤ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ والدرر النفيسة ص ٥٥٦ و ٥٥٧) ·

(متى ٥ : ١٥)(٢٢) ويتضح لنا من قراءتهـا أن غريغوريوس النوسي قد عرف مار أفرام معرفة مستمدة من مطالعة تآليفه ، لأنه يؤكد في خطبته أنه انما يقتبس حقائق سيرته ودقائقها من كتابات مار أفرام نفسه(٢٣) ٠

ونوه عن كرم محتده ونبل أرومته وطيب نشأته ، ومدح تمسكه بالايمان والرجاء والمحبة وأعمال البر والاحسان التي كان يقوم بها ، ونقاء سيرته وصفاء سريرته ، وتبحره في علوم الكتاب المقدس والفلسفة والمنطق ووقوفـه في جانب الحـق ، وجهاده في سبيل العقيدة المستقيمة الرأي ومناوأته الهراطقـة ومناهضته أصحاب البدع وانتصاره عليهم ، ويذكر انتقالـه من نصيبين الى الرها وبعض الحوادث التي جرت له وسفره الى مصر وقيسارية قبدوقية وزيارته باسيليوس الكبير(٢٤) وهـو شقيق غريغوريوس النوسي كاتب الخطبة ٠

كما يشهد بذكر مؤلفاته مما يبرهن على انها ترجمت في حياته الى اليونانية فقرأها غريغوريوس النوسي الذي لا نظنه كان يعرف السريانية ، وقد استشهد ببعض عبارات مار أفرام ولا سيما وصيته الأخيرة ٠

٢٢ـ نشرها مين مج ٤٦ ص ٨١٩ ـ ٨٥٠ وقد نقلت الى العربية في القرن الحادي عشر على الأرجح ونشرت في مجلة المشرق البيروتيـة ١٩ : ١٩٢١ : ٤٥٢ ـ ٤٥٩ و ٥٠٦ ـ ٥١٦ وحققها ونشرها البطريرك افرام الأول برصوم في المجلة البطريركية في القدس السنة السابعة ـ الأعداد الأول والثاني والثالث لسنة ١٩٤٠ ٠

٢٣ـ A Select Library of Nicene and Post Nicene Fathers of Christian Church, Second Series — Volume XIII — Grand Rapids — Michigan — 1956, PP. 137.

٢٤ـ لا يسلم بعض النقاد بصحة زيارة مار افرام لمصر وقيصرية قبدوقية (انظـر هنا نقد السيرة) ٠

وعلى الأغلب ان هذه الخطبة قد غلفها بعض النساخ بحلة من الغلو وألصقوا بها أخباراً بعيدة الوقوع ·

فاذا جردناها من ذلك فانها تعد أهم مصدر يوناني الأصل لسيرة مار أفرام السرياني ·

وكتب القديس يوحنا الذهبي الفم (+ ٤٠٧) عن مار أفرام فقال : «أفرام كنارة الروح القدس، ومخزن الفضائل معزي الحزانى ومرشد الشبان وهادي الضالين . كان على الهراطقة كسيف ذي حدين »(٢٥) ·

وقال فيه القديس هيرونيمس (+ ٤٣٠) وهو أحد كتاب السير اليونانيين المشاهير(٢٦) ما يلي « أفرام شماس كنيسة الرها ألف كتباً كثيرة في اللغة السريانية وقد بلغ من الشهرة والتوقير ــ ان بعض الكنائس تتلو ما كتبه على الشعب في الكنائس بعد تلاوة منتخبات الأسفار المقدسة وقد طالعت في اليونانية كتابه في الروح القدس مترجماً عن السريانية ووجدت فيه قمة الذكاء السامي في الترجمة أيضاً »(٢٧) ·

وقال فيه سوزومين المؤرخ اليوناني (+ ٤٢٣) ما ملخصه: « انه أرفع من كل ثناء ، وقد زين الكنيسة كلها أفخر زينة وفاق الكتّاب اليونانيين بحكمته ورونق كلامه وأصالة رأيه وسداد

٢٥ــ الدرر النفيسة ص ٥٢٣ ·

٢٦ــ اللؤلؤ المنثور ص ١٩٧ ·

٢٧ــ تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس ــ بيروت ١٨٩٩ مج ٤ ج ٢ ص ٢١١ عن كتاب المشاهير DE VIRIS ILLUSTRIBUS لهيرونيمس الفصل ١١٥ ·

برهانه ، فاذا ترجمت كتبهم الى السريانية أو غيرها من اللغات أضاعت رونقها وانحطت عن مقامها وأما كتب أفرام فقد ترجم بعضها من السريانية الى اليونانية وما برح بعضها يترجم الى الآن ويتملك قارئها باليونانية العجب من فصاحتها وانسجامها ودقة معانيها كمن يقرأها في أصلها السرياني الذي كتبت فيه · وان باسيليوس أسقف قيصرية قبدوقية قد دهش بهذا الرجل وتحير بما أوصله الى هذه الفصاحة السامية »(٢٨) ·

★ ★ ★

٢٨ـ تاريخ سورية للدبس ص ٢١١ و ٢١٢ عن تاريخ سوزومين ك ٣ ف ١٦ (انظر أيضا كنيسة مدينة الله انطاكية ـ للدكتور أسد رستم بيروت ١٩٥٨ ج ١ ص ٢٨٩ ·

الفصل الثالث

ولادة مار افرام نشأته :

ولد في نصيبين في مطلع القرن الرابع(٢٩) من أبوين مسيحيين(٣٠) ، أرضعاه لبان التقى وربياه على التعلق بأهداب الفضيلة والتمسك بالدين بعروة وثقى .

ذكر في وصيته الأخيرة لتلاميذه، انه عندما كان فتى صغيراً رأى في الحلم كرمة نبتت في لسانه وأينعت آلاف العناقيد وربوات

٢٩- تشعبت الآراء في تثبيت سنة ميلاده ، فزعم بعضهم أنه ولد سنة ٣٠٠ م وقد جاء ذلك في سيرته المطبوعة بالعربية في الموصل سنة ١٨٨٣ وقال آخرون أنه ولد سنة ٣٠٣ وقد جاء ذلك في الدرر النفيسة ص ٥٢٣ وكذلك كتاب المرجانة/ لعبد يشوع الصوباوي (+ ١٣١٨) بالسريانية طبعة الموصل ١٩٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية للبطريرك يعقوب الثالث ج ١ ص ٢٤١ وقال غيرهم انه ولد سنة ٣٠٦ كما جاء في دائرة المعارف البريطانية طبعة (١١) سنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ وكذلك قاموس اوكسفورد للكنيسة المسيحية بالانكليزية طبعة لندن ١٩٥٨ ص ٤٥٥ وكذلك في الآداب السريانية للمستشرق روبنس دوفال ص ٣٣٠ وقال غيرهم انه ولد سنة ٣٠٨ كما جاء في الموسوعة الميسرة - القاهره بالعربية ١٩٦٥ ص ١٧٧ وارتأى آخرون انه ولد سنة ٢٨٥ كما جاء في مجلة لسان المشرق - الموصل سنة ١٩٤٩ العددان ٨ و ٩ ص ٧٠ .

٣٠- الدرر النفيسة ص ٥٢٣ واللؤلؤ المنثور طبعة حلب ١٩٥٦ ص ٢٤٣ وتاريخ الكنيسة السريانية للبطريرك يعقوب الثالث ج ١ ص ٢٤١ وقاموس اوكسفورد للكنيسة المسيحية بالانكليزية ص ٤٥٥ .

الخصل(٣١) وقد فسر مار أفرام هذا الحلم ، فقال ان العناقيد هي الأشعار ، والخصل هي الأناشيد ، مبارك من غرس الكرمة وكثر عناقيدها وخصلها !!

هجره العالم :

غالباً ما تكون حوادث بسيطة في حياة المرء أسباباً ذات نتائج تاريخية ضخمة بل نقطة تحول في سيرته من حيث يدري أو لا يدري ، وهذه الأمور التي نراها بشرية بحتة انما وراءها قوة سماوية ، وقصد الهي وارادة سامية لا تدركها عقولنا . فانطونيوس أبو الرهبان مثلا يبيع كل ما يملك ويوزعه على المساكين ويخرج من العالم ، ويتعبد لله في البرية ، كل ذلك ، على اثر رؤيته جسد أبيه الميت جثة هامدة باردة وسماعه قول السيد المسيح في الانجيل المقدس « اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملا الصليب » (انجيل مرقس ١٠ : ٢١) .

فكم من الناس يرى أباه ميتاً ــ وكم من المسيحيين يسمع قول الرب للشاب الغني « اذهب وبع كل مالك الخ .. » ولكن هذه الحادثة البسيطة ، وهذه الآية الكريمة ، كانتا الدافع الظاهر لهجر انطونيوس العالم ، أما الوازع الخفي فهو الله تعالى الذي كثيراً ما يختار الناس ليتبعوه دون أية علامة ظاهرة تجري لهم .

٣١ـ وصيته الأخيرة طبعة الأب بولس بيجان باريس ١٩٠١ ص ٦٩٣ .

وقد أعد الله لمار أفرام وهو شاب يافـع حادثة قد جـرت وتجري للكثيرين وكأنها أمر طبيعي أما لمار أفرام فكانت نقطة تحول مهمة في حياته الروحية ، ودافعاً ظاهراً لتخصيص نفسه لخدمة الله تعالى وعبادته، أما الوازع الخفي فهو العناية الربانية التي اختارته ليذود عن حياض الكنيسة . ويقود معلميهـا في طريق الحق ، ويرفع لواءها عالياً وسط الأضاليل والبدع فيحق الحق ويزهق الباطل . ويذكر كاتب سيرته هذه الحادثة فيقول ما معناه : ان أفرام طارد يوماً بقرة رجل فقير دخلت حقل أبيه فاختفت في الغابة . ولما جاء صاحب البقرة المسكين يفتش عنها أهانه أفرام ووبخه على تركه بقرته ترعى في حقل غيره فتقبل الفقير الاهانة ومضى .

وجرى بعد أيام قليلة أن سُرق من قطيع أحد الرعاة بعض الأغنام فاتهم أفرام ورفعت عليه الدعوى فزج في السجن وهـو بريء ، وذل كثيراً ، وحزنت نفسه ، ورفع قلبه لله بصلاة حارة طالباً مساعدته لاظهار الحق ، وانقاذه من سجنه ، وفي تلك الليلة حلم أفرام حلماً وكأن ملاكاً من السماء ظهر له قائلا : حقاً انك بريء من هذه التهمة ، ولكنك لست بريئاً من كل جريرة . ولما استيقظ من نومه أخـذ يفكر في قول المـلاك ، فتذكر حادثـة مطاردته البقرة وندم كثيراً على ذلك وخاصة على سوء معاملته لصاحبها الفقير ، فتفجرت عيناه بدموع التوبة السخية وانتحب على ذنبه وطلب المغفرة من الـرب ، وفي تلك اللحظات نـذر نفسه لخدمة الله تعالى ووعد أن يهجر العالم حالما يخرج من سجنه وهكذا كان .

ويسرد مار أفرام هذه الحادثة في احدى كتاباته التي نقلت الى اليونانية في عهده ثم نقلت الى العربية بعدئذ حيث يقول : انه مكث في السجن ثمانين يوماً وان القاضي أعلن براءة ساحته وأطلق سراحه ، ويذكر أيضاً أن اللذين ولداه بالجسد ثقفاه في الايمان المسيحي وربياه على مخافة الرب وحدثاه عما سبق فكابده آباؤه من العذاب في سبيل الحفاظ على الايمان وحب السيد المسيح . ويقول أخيراً انه سليل الشهداء الصناديد(٣٢) .

★ ★ ★

٣٢- المكتبة المختارة لآباء مجمع نيقية - بالانكليزية طبعة مشيغن سنة ١٩٥٦ القسم الثاني المجلد ١٣ ص ١٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية للبطريرك يعقوب الثالث ج ١ ص ٣٠٠ وسيرة مار أفرام السرياني للخوري اسحق ارملة بيروت ١٩٥٢ ص ١٥ عن مخطوطة دير الشرفة ٧ - ١ الميمر الثامن من الميامر الأفرامية العربية المنقولة عن اليونانية وعنوانه « توبيخ لنفسه واعتراف » .

الفصل الرابع

تلمذته لمار يعقوب أسقف نصيبين وجهاده في ادارة مدرستها

كانت نصيبين في القرن الرابع مدينة سريانية قلباً وقالباً ، لغة وحضارة(٣٣) ولموقعها على حدود الدولتين الفارسية والرومانية كانت تتعرض لحروب طاحنة فتخضع لسلطان الفرس حيناً ، والرومان أحياناً . أما اليوم فهي تحت حكم الأتراك .

وصفها ياقوت الحموي (المتوفى سنة ١٢٢٨ م) بقوله :

« هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان – بينها وبين سنجار تسعة فراسخ(٣٤) ، وبينها وبين الموصل ستة أيام ، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه انوشروان الملك عند فتحه اياها(٣٥) . وارتأى بعضهم

٣٣– المباحث الجلية للبطريرك أفرام رحماني طبعة دير الشرفة ١٩٢٤ ص ١٥١ و ١٥٢ والجزء الثالث من مجموعته المطبوعة بعنوان **STUDIA SYRIACA** ص ٦ وما بعدها .

٣٤– جمع فرسخ وهو ثلاثة أميال .

٣٥– معجم البلدان لياقوت الحموي – طبعة صادر بيروت ١٩٥٧ مج ٥ ص ٢٨٨ .

ان كلمة نصيبين السريانية جاءت من فعل (نصاب) أي نصب وغرس وسميت كذلك لكثـرة البساتين فيهـا(٣٦) ولأهميتهـا سماها اليونان أنطاكية مقدونيا نسبة الى نهر مقدونيوس الذي يمر في وسطها(٣٧) ٠

رسم عليها مار يعقوب أسقفاً عـام ٣٠٩(٣٨) وكان هـذا ناسكاً فاضلا صرم حبل الدنيا في شرخ شبابه ، وأخلص العبادة لله منفرداً في مغارة قرب المدينة المذكورة ، واختير ليكون أول أسقف عليها ، وكان يتشح بجلد المعـزى(٣٩) ووصف بالعلـم والغيرة على تهذيب رعيته في أصول الدين المبين وارتقاء معارج الفضيـلة ٠

رأى أفرام الفتى النجيب في مار يعقوب خير مثال يحتذى به في النسك والصلاح فقصده ، واعتمد على يديه وهو ابـن ثماني عشرة سنة(٤٠) ، . وأحبه مار يعقوب كثيراً واتخذه تلميذاً وكاتباً في آن واحد ورسمه شماساً(٤١،٤٢) فكان مار أفرام يقضي

٣٦ـ نبذة تاريخية في مدرسة نصيبين للمطران ادي شير عن نبذة سريانية طبعة العلامة جريدي في لندن سنة ١٨٩١ CUIDI : LEGDES .

٣٧ـ تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية ـ جـ ١ ص ٢٤٠ عن التاريخ المدني السرياني لابن العبري (+ ١٢٨٦) ص ٦١ ٠

٣٨ـ تاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٤٢ عن تاريخ ايليا برشنايا مطران نصيبين (القرن الحادي عشر) طبعة بروكس في باريس ٠

٣٩ـ الدرر النفيسة ـ ٤٢٢ ٠

٤٠ـ الآداب السريانية لفولوس كبريال وكميل البستاني ج ١ ص ١٢٨ ودائـرة المعارف البريطانية ـ طبعة ١١ لسنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ ٠

٤١ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٤ ٠

٤٢ـ الشماس عند المسيحيين هو من كان دون القس أو الكاهن رتبة والكلمة سريانية بمعنى الخادم أي خادم الرب ٠

بياض نهاره وسواد ليله في الدرس والتحصيل مُكبَّاً على مطالعة الكتاب المقدس فتعمق في علومه ، كما أتقن اللَغة السريانية وآدابها حتى عد في الرعيل الأول بين أقطابها ٠

وقد أحب مار أفرام أستاذه مار يعقوب وأطاعه وأفاد من علمه الروحي ، ولا بد من أنه كان يكمل عملياً ، ما أوصى به بعدئذ، في ميمره في العلم، كل تلميذ صالح حيث يقول ماتعريبه:

« أكرم الشيوخ واسع في معاشرتهم ، واتخذ لك مجلسا عند أقدامهم ، واصغ الى أقوالهم وتفهمها »(٤٣) ٠ وقد اصطحبه مار يعقوب الى مجمع نيقية(٤٤) سنة ٣٢٥ م ، وعلى اثر عودتهما أسس مار يعقوب في نصيبين مدرسة ، وكانت مزدهرة حتى القرن السابع(٤٥) وحازت شهرة واسعة ، حيث انه سلم زمام التعليم فيها الى تلميذه العبقري مار أفرام ٠ وقد تقاطر عليها طلاب العلم الديني من بلاد ما بين النهرين السفلى التي كانت ترزح عصرئذ تحت نير الحكم الفارسي ، فاحتضنتهم مدرسة نصيبين كأم رؤوم ، وأرضعتهم لبان العلوم الروحية ،

٤٣- المروج الزهية بالسريانية طبعة المطران يعقوب أوجين منا بالموصل ١٩٠١ ج ١ ص ٣٩ ٠

٤٤- التاريخ الكنسى للعلامة ابن العبري (+ ١٢٨٦) بالسريانية طبعة بيلوس ولامى في لوفان فى ثلاثة مجلدات ١٨٧٢ - ١٨٧٧ مج ١ ص ٢٣ وتاريخ سورية للمطران يوسف الدبس مج ٤ ج ٢ ص ٢٠٨ - والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيذوروس - مصر ١٩١٥ ج ١ ص ٢٥٦ وقاموس اوكسفرد فى الكنيسة المسيحية بالانكليزية طبعة لندن ١٩٥٨ ص ٤٥٥ ٠

٤٥- تاريخ كلدو وآثور للمطران ادي شير - بيروت ١٩١٣ مج ٢ ص ٤١ و ٤٢ عن تأسيس المدارس تاليف برحذ بشابا عربايا أسقف حلوان طبعة ادي شير في باترو لوجية كرافين ونو في باريس ١٩٠٧ ص ٦٣ حيث يقول : « ان يعقوب النصيبنى فتح مدرسة في نصيبين سنة ٣٢٥ وجعل فيها مار افرام معلما » ٠

ولذلك دعيت بمدرسة الفرس(٤٦) . وكان لها مار أفرام، المدبر الحكيم ، والمعلم الصالح ، والشاعر المجيد ، والكاتب القدير ، واللاهوتي الدقيق العميق ، والفيلسوف الروحاني الواسع المدارك والقوي الحجة والخبير بالحياة النسكية والمتمرس بها .

وفي سنة ٣٣٨ رقد مار يعقوب بالرب(٤٧) ودفن في الكنيسة الفاخرة الفخمة التي شيدها في نصيبين في مدة سبعة أعوام (٣١٣ ـ ٣٢٠) ، ولا يزال نصفها شاخصاً حتى اليوم وفي أسوارها زخارف رائعة ـ وتحت مذبحها الشرقي قبر مربع يحوي ضريحاً من الرخام مغطى بحجر مقبب يقال انه ضريح مار يعقوب مؤسس الكنيسة(٤٨) .

وقد أبن مار أفرام أستاذه مار يعقوب تأبيناً مؤثراً جداً جاء فيه ما يلي : « كان يعقوب حبراً نبيلا أحرز انتصاراً باهراً في جهاده اذ قرن المحبة بالغيرة في سبيل رعيته ، وتدرع بسلاح التقى وامتاز بعطفه على أبنائه » .

وعلى اثر انتقال مار يعقوب الى الخدور العلوية تسلم مار أفرام ادارة المدرسة ـ وان القصائد والأناشيد التي نظمها في مدرسة نصيبين تعرف بالنصيبينية(٤٩) وتعد صوراً رائعة لحياة ذلك العصر في تلك المنطقة .

٤٦ـ خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ١٩ .

٤٧ـ تاريخ مختصر الدول للعلامة ابن العبري (+ ١٢٨٦) ص ٨٠ .

٤٨ـ تاريخ كلدو مج ٢ ص ٤٢ عن تاريخ ايليا برشنايا مطران نصيبين القرن (١١) طبعة بروكس في باريس ص ٩٨ والدرر النفيسة ص ٤٥٧ و ٤٥٨ وعصر السريان الذهبي ص ٣٦ عن مجلة الآثار الشرقية مج ٣ سنة ١٩٢٨ ص ١٨٩ والمشرق مج ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٨٥٠ .

٤٩ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ .

ففيها يصف لنا ما قاسته مدينته في الحصارات والحروب مع الفرس ، وقد عاصر ما تعرضت له المدينة من مثل هذه الضيقات في الأعوام ٣٣٨ و ٣٥٠ و ٣٥٩ و ٣٦٣ ، ويظهر مار أفرام بكتاباته ما كان يكنه قلبه وقلب كل مواطن من ايمان بالله واتكال عليه تعالى ، ويقوم مواقف رجال الكنيسة المشرفة بتشجيع رعيتهم ابان الحروب للدفاع عن المدينة ببسالة ، باذلين في سبيل ذلك النفس والنفيس كما يقرظ أساقفة نصيبين(٥٠) وهم مار يعقوب (+ ٣٣٨) وخلفاؤه بابويه (٣٣٨ ـ ٣٤٩) وولغش (٣٤٩ ـ ٣٦١) وابراهيم (٣٦١ ـ) .

وكانت اللغة السريانية لغة التدريس الرسمية في مدرسة نصيبين ـ ومما لا شك فيه أن بعض المصنفات اليونانية المسيحية قد نقلت الى السريانية حيث بدأت الترجمة في صدر النصرانية بنقل الكتاب المقدس الى السريانية من العبرية واليونانية ، وازدهرت الترجمة في الربع الأخير من القرن الرابع وصدر الخامس(٥١) ، وكانت اللغة السريانية صالحة للتعبير في مختلف المجالات الفكرية لغناها بالمصطلحات الفنية فتمكنت من استيعاب العلوم الدينية والدنيوية ، وتلك الترجمات لم تغنها كلغة بل كانت برهاناً ساطعاً على رقيها ، كما جاءت كتابات مار أفرام بينة جديدة على ما امتازت به اللغة السريانية من المرونة ، وحجة دامغة على النهضة الأدبية الثقافية والروحية التي بلغتها الكنيسة السريانية في القرن الرابع بفضل مار أفرام ومدرسته.

٥٠ـ تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جـ ١ ص ٢٤٢ .

٥١ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٠٧ .

كما كانت مدرسة نصيبين تتبع في الفلسفة طريقة مدرسة أنطاكية(٥٢) « التي كانت تعتمد على أرسطو أكثر من أفلاطون ، وكانت مبادئها توجب في كل موضوع بساطة في المنهج وكمالا في الايضاح وادراكاً في تعليم الايمان »(٥٣) ·

وقد تخرج في هذه المدرسة علماء نوابغ ويكفيها فخراً انها أنجبت مار أفرام وتلاميذه ·

★ ★ ★

٥٢ـ الطرفة النقية في تاريخ الكنيسة المسيحية ـ ص ١٤٣ ·
٥٣ـ الروم جـ ١ ص ١٥٢ واندرر النفيسة مج ١ ص ٥٧٣ ·

الفصـــل الخامس

رهبنتــه :

« طريقة النسك والرهبانية هي الزهد في الغالب عن كل ما راق من الدنيا والانصراف الى طلب الآخرة بجهـاد النفس ومصارعة فواتك الأهواء ، والتحلي بأكمل الفضائل المسيحية . وهي طريقة قديمة في النصرانية ، وذكر العلامة ابن العبـري انها عرفت بعد الصعود بمئة سنة »(٥٤) .

وازدهرت الرهبانية في القرن الرابع للميـلاد ، وظهـر نساك وعباد تضوع أريج طهرهم وزهدهم في البلاد . حتى ان سوزمين المؤرخ اليـوناني (٤٢٣ م) يذكر في تاريخه ثلاثـين ناسكا في براري سورية الشمالية والوسطى ويؤكد أنهم فاقوا نساك مصر في ممارسة الزهد(٥٥) وملأت الأديرة جبال بلاد ما بين النهرين وانضوت اليها آلاف الرهبان والراهبات الذين عزفوا عن الدنيا وسعوا وراء الآخرة .

وقيل انه على اثر تلمـذة مار أفـرام على مـار يعقوب النصيبيني الناسك الزاهد الذي كان يتشح بجلد المعزى كمـا مر آنفاً ، ألبس الثوب الرهباني(٥٦) وارتأى بعضهم انه أخـذ

٥٤ـ الدرر النفيسة ص ٤٧٦ و ٤٧٧ .

٥٥ـ تاريـخ كنيسة مدينـة الله أنطاكيــة ـ ج ١ ص ٢٨٩ عن تاريـخ سوزمين ٦ : ٢٣ ـ ٢٤ .

٥٦ـ الدرر النفيسة ص ٥٢٣ .

النسك عن يوليان الناسك الشيخ في جبل الرهـا ، وهو الذي وشحه بالاسكيم(٥٧) الرهباني(٥٨) ، وكان منسكه بقرب المغارة التي كان مار أفرام يتنسك فيها • وقد قرظه بأناشيده(٥٩) ، مظهراً ما كان يتصف به من ضروب الزهـد والتقشف والعـلم الروحاني • ولا غرو فقد كان جبل الرهـا يومذاك مكتظـاً بالرهبان(٦٠) وظهر فيهم نساك فضلاء عاشرهم مار أفرام وأشاد بذكرهم ومن جملتهم مار ابراهيم القيدوني الناسك الذي نظم فيه مار أفرام خمس عشرة قصيدة ونحلت سيرته لمار أفرام(٦١) •

أتم مار أفرام نذور الرهبانية الثلاثة وهي الطاعـة أي الخضوع لارادة معلمه ، والفقر الاختياري وهو ألا يملك مـن متاع الدنيا شيئاً البتة • والبتولية وهي ألا يتزوج ويصـون نفسه عفيفاً • ومن مبادىء الرهبانية الصلاة والصوم ومطالعة الكتب المقدسة ، وممارسة بعض الأعمـال اليدوية التي تؤول الى تحصيل القوت الجسدي للراهب • وكان مار أفرام صواماً قواماً ، ذبل جسده ورق نتيجة لتطرفه واغراقه في حياة الزهد ، اذ لم يأكل سوى خبز الشعير والبقول المجففة ، ولم يشرب سوى الماء ، حتى حاكى هيكلا عظمياً بل تمثالا من الفخار كما وصفه

٥٧- اسكيم : كلمة يونانية تعنى الشكل ، الصورة ، الزي ، الثوب وخاصة ثوب الرهبانية ونذرها •

٥٨- سنكسار الروم الكاثوليك - للمطران ميخائيل عساف الطبعة الثانية حريصا - ص ١١٧ من ذكرى أعياد شهر كانون الثاني وسيرة مار أفرام للخوري اسحق أرملة بيروت ١٩٥٢ ص ٣٧ •

٥٩- اللؤلؤ المنثور - ص ٢٤٧ •

٦٠- الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة - ج ١ ص ٢٥٣ •

٦١- سيرة مار ابراهيم القيدوني - مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٣٤ خطت في القرن الثالث عشر ونحلت مار أفرام • طبعها الأب بولس بيجان في أخبار الشهداء والقديسين مج ٦ ص ٤٩٦ •

غريغوريوس النوسي (+ ٣٩٦) . أما لباسه فكان ثوبا خلقا بل اطماراً بالية(٦٢) ٠

وقد وصف فلسفته الرهبانية بقصيدة نفيسة جداً خماسية الوزن(٦٣) يخاطب فيها نفسه التي روضها على شظف أعمال التقشف القاسية ، جاء فيها ما ترجمته بتصرف :

ـ كم من مرة جعت ٠ وكان جسدي بحاجة الى الطعام ، ولكنني امتنعت عن تناوله لكي أستحق الطوبى التي سينالها الصائمون ٠

ـ عطش جسدي الذي جبل من طين الأرض . ورغب في الماء ليرتوي ، فأهملته ناضباً لكي يستحق أن يذهب ويتلذذ بندى فردوس النعيم ٠

ـ واذ كان الجسد دائماً يكثر مراودتي في فتوتي وشيخوختي فاني كنت أروضه يوماً فيوماً حتى النهاية ٠

ـ في صباح كل يوم كنت أفكر بأنني سأموت مساء وكالرجل المائت لا محالة ، قمت بأعباء عملي كل أيام حياتي دون ملل ولا كلل ٠

ـ وفي مساء كل يوم كنت أتصور أني لا أكون في الوجود صباحاً ـ فأنتصب بالصلاة والعبادة حتى شروق الشمس وبزوغها ٠

٦٢ـ تاريخ كنيسة مدينة الله أنطاكية ـ ج ١ ص ٢٩١ وسنكسار الروم الكاثوليك ٠ ص ١١٩ ٠ الخاص بشهر كانون الثاني ٠

٦٣ـ اللؤلؤ المنثور ـ ص ٢٤٩ ٠

- عندما سألني الجسد غفوة هو بأمس الحاجة اليها استهويته بالطوبى التي منحها الرب للايقاظ ·
- أقمت من نفسي للمسيح ، وفيهـا قدمت له أتعاب أعضـاء جسمي بخوراً وعطوراً ·
- قد صار ذهني مذبحاً وارادتي كاهناً ، وكمثل حمل لا عيب فيه ضحيت بذاتي قرباناً ·
- قد حملت نيرك يا سيدي منذ فتوتي وحتى شيخوختي وواظبت على عبادتك حتى النهاية جذلان بلا ملال ولا كلال ·
- تحملت عذاب الجوع منتصراً عليه اذ رأيتك بين اللصين تذوق المرارة لأجل (خلاصي) ·
- اعتبرت ضيق العطش وكأنه لم يكن ، اذ رأيت سيدي بسبب خطيتي يمتص الخل من الاسفنجة ·
- لم أعر للأطعمة أهمية · ونبذت الخمور ، اذ وضعت نصب عيني وليمة ملكوتك أيها الختن السماوي ·

هذه كانت طريقة حيـاة مار أفـرام كراهب ولم تكـن الرهبانية لديه تصوفا وانقطاعاً عن العالم وصوماً وصـلاة فحسب بل كانت أيضاً خدمة للانسانية ووسـيلة لحفظ التراث القومي ، لذلك جعل من الأديرة مركزاً مهماً للعلم والمعرفـة · حيث ازدهرت العلوم والآداب ، واقتداء به أكب تلاميذه الرهبان على الدرس والتحصيل وعكفوا على البحث والتـأليف وجـاء بعدهم غيرهم من الرهبان والنساك والعباد فنسجوا على منوالهم وطبعوا على غرارهم وخدموا العلم خدمات جليلة بانصبابهـم على التصنيف ونسـخ الكتب ونشرهـا وتعليـم الأكلـيروس

والشعب ، الرهبان والمؤمنين ، فتركوا لنـا آثاراً أدبية قيمـة ونفيسة تعج بها مكتبات العالم اليوم وبذلك أسهموا في رقـي بلادهم وازدهارها ونشر الحضارة فيها ·

وحافظ الرهبان في عهد الاستعمار البيزنطي والفارسـي على اللغة السريانية الحبيبة التي اعتزوا بها لأنها لغة مسيحهم ورسله الأطهار وأمه الطوباوية مريم وحافظوا عليها كحدقـة العين ونشروا المعارف بها · وبفضل الرهبانية والأديرة لا تزال هذه اللغة حية وستبقى أبد الدهر بعون الله تعالى طالما تكلـم تلاميذ مار أفرام الراهب بها ودبجوا بحروفها مؤلفاتهم حتـى اليـوم ·

★ ★ ★

الفصـــل السادس

مار أفرام في الرها :

كانت الرها أشهر مدن بلاد ما بين النهرين العليا ومركزاً للتجارة بين بلاد العرب وآسيا الوسطى(٦٤) وتسمى اليوم أورفا وهي تحت الحكم التركي · ظهرت على مسرح التاريخ كمملكة صغيرة منذ سنة ١٣٢ قبل الميلاد باسم أورهوي وقد بناها الملك سلوقس نيقاطور (٣١١ ــ ٢٨٠ ق٠م) وهو ثاني ملوك اليونان في الشرق(٦٥) وذلك في السنة السادسة من موت الاسكنــدر(٦٦) وسماها أودسا · وصارت عاصمــة مملكة مستقلــة اســمها اوسروين(٦٧) وتغلب عليهاالرومان نحو سنة ٢٤٤ م، فانتقضت أركان مملكتها(٦٨) ·

دخلت النصرانيــة مدينــة الرهــا في صدر القــرن الأول للميلاد · على يد مار ادى أحد المبشرين السبعين في عهد ملكها ابجر اوكاما كمــا أثبت اوسابيوس القيصــري المؤرخ المسيحي

٦٤ـ الدرر النفيسة ص ٧٦ ·

٦٥ـ سيرة مار افرام السرياني للخوري اسحق أرملـة ص ٣٠ عن المكتبة الشرقيـة للعلامة يوسف السمعاني مج ١ ص ٣٩٢ ·

٦٦ـ معجم البلـدان ـ لياقوت الحمـوي ـ طبعة دار صـادر بيروت ١٩٥٧ مـج ٣ ص ١٠٦ ·

٦٧ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ القاهرة ١٩٦٥ ص ١٧٧ ·

٦٨ـ المباحث الجلية ـ ص ٢٩ ·

الشهير(٦٩) ومنذ القرن الرابع امتازت ببيعها وأديارها وعلمائها(٧٠) · وكانت لغتها سريانية وقد ترجم الانجيل المقدس قبل أواخر القرن الثاني الى اللغة السريانية باللهجة الرهاوية التي تعتبر أفصح اللهجات طرأ ·

ولا غرو فان لغة أهالي سورية الأقدمين كانت السريانية أيضاً(٧١) ·

عندما سلمت نصيبين الى الفرس سنة ٣٦٣ هجرها مار أفرام وبرفقته نخبة طيبة من أساتذة مدرستها وتلامذتها وجاء الى بلدة بيت كرماي التي يقال أنه كان قد اعتمد فيها في سن الثامنة عشرة ثم مر أيضاً بديار بكر ، موطن أمه ومكث هناك مدة وجيزة(٧٢) وبعدئذ حط الرحال في الرها ·

قيل انه عند وصوله الى ضواحيها توقف قليلا على ضفة نهر ديصان المحيط بالمدينة ، وكانت هناك نسوة يغسلن ثياباً ، فرنت اليه احداهن ، فساءه ذلك منها وزجرها قائلا : اخفضي نظرك أيتها المرأة وتطلعي الى الأرض ، فأجابته « لي أن أنظر اليك أيها الرجل لأني منك أخذت ، ولك أن تخفض نظرك الى

٦٩- مجلة الحكمة سنة ١٩٢٩ وهي السنة الثالثة عدد ١٠ وتاريخ أوسابيوس القيصري ١ : ١٣ والمباحث الجلية ص ٣٢ - ٣٦ واندرر النفيسة ص ٧٦و٧٧ ·

٧٠- تاريخ المؤرخ الرهاوي بالسريانية طبعة باريس ١٩١٥ - ١٩٢٠ ج ١ ص ١٧٩ و ج ٢ ص ١٧٠ ومزيدة العجائب وفريدة الغرائب لعمر بن الوردي (٧٤٩ هـ) فى كلامه عن الرها ·

ودائرة معارف القرن العشرين - دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧١ ·

٧١- المباحث الجلية ص ١٥١ و ١٥٢ عن القصارى للمطران اقليميس يوسف داود ·

٧٢- المكتبة المختارة لآباء الكنيسة المعاصرين لمجمع نيقية - القسم الثاني المجلد ١٣ ج ٢ ص ١٢٤ وذخيرة الأذهان للقس بطرس نصري الموصل ١٩٠٥ مج ١ ص ٩٨ وسيرة مار أفرام للخوري أرملة ص ٢٩ ·

الأرض لأنك منها جبلت » فأعجب مار أفرام بحكمة هذه المرأة وقال « ان كانت هذه حكمة نساء الرها ، فما هي درجة حكمة رجالها ياترى(٧٣) • وكم كان سرور مار أفرام عظيماً عندما ارتقى جبل الرها ، والتقى بأديرة لا عدد لها وقد غصت بالرهبان ، وصوامع المناسك ملأت الجبل المقدس ، فاتخذ له صومعة بقرب مغارة مار يوليان الشيخ الذي يقال انه وشحه بالثوب الرهباني كما ذكرنا آنفاً •

ويذكر كاتب سيرته أن يوليان الشيخ رأى مرة رؤيا وكأن جوقة من الملائكة قد اجتمعت وبيد أحدهم صحيفة خطت عليها كتابة ـ وسأل هذا الملاك رفاقه قائلا : الى من ينبغي أن أسلم هذه الصحيفة ؟ أجابه أحدهم ادفعها الى أوجين الناسك في برية مصر • فقال له الملاك لم يأمرني الرب بهذا ثم كرر السؤال قائلا : اخبروني يا رفاقي من يستحق الحصول على هذه الصحيفة ؟ فذكروا له أسماء بعض النساك الأفاضل فقال لهم أخيراً : ان هؤلاء النساك جميعاً قد اشتهروا بالتقوى وهم حقاً أبرار ، ولكن هذه الصحيفة قد وهبت لمار أفرام المقيم في جبل الرها • وعلى اثر هذه الرؤيا قصد مار يوليان الشيخ مار أفرام فوجده منهمكاً بتفسير الكتاب المقدس فأذاع خبر الرؤيا أمام أساتذة مدرسة الرها(٧٤) •

★ ★ ★

٧٣ـ المكتبة المختارة لآباء الكنيسة المسيحية القسم الثاني مج ٣ ج ٢ ص ١٢٤ عن سوزين المؤرخ ونسخ سيرة مار أفرام كافة •
الآداب السريانية لفولوس كبريال ج ١ ص ١٣١ •

٧٤ـ سيرة مار أفرام السرياني للخوري ارملة ـ ص ٣٧ و ٣٨ عن بستان الآباء ـ طبعة الأب بولس بيجان ص ١٧٥ •

الفصـــل السابـــع

مدرسة الرهـــا

ألقى مار أفرام عصا الترحال في الرها ، فكان تارة يتنسك في مغارة في جبلها المقدس ، وتارة يتفرغ للتدريس في مدرستها الشهيرة التي كان ادى البشير قد أنشأها كما ارتأى بعضهم(٧٥) أو ان أحد ملوك الرها أسسها في القرن الثاني للميلاد كما ارتأى الآخرون ، وقد تخرج فيها في ذلك القرن برديصان الشاعر الكبير (١٥٤ ــ ٢٠٢ م) ووافا الفيلسوف واسونا العالم(٧٦) وعندما نزل بها مار أفرام وصحبه جدّدوها ، فازدهرت على يدهــم ــ وعاشت حتى عام ٤٨٩(٧٧) ٠

وكان تلامذتها يتلقنون دروساً في شرح الكتاب المقــدس بعهديه معتمدين بذلك على تفسير مار أفرام وهو أقدم من فسر الكتاب عند الســريان(٧٨) كمـــا كانوا يأخـــذون عنه العلـــوم اللاهوتية لاثبات حقائق الدين المبين ودحض البدع والهرطقات ولا غرو فكتاباته عدت مثالا للتعاليم اللاهوتيــة في الكنيســة

٧٥ــ ازوم ٠ جـ ١ ص ١٦٢ وذخيرة الأذهان مج ١ ص ٩٨ والدرر النفيسة مج ١ ص ٥٧٢ عن برحذ بشابا العربي أسقف حلوان في النصف الثاني من القـــرن السادس آخذا عن التقليد الشائع ٠

٧٦ــ عصر السريان الذهبي ــ ص ٧ ٠

٧٧ــ الآداب السريانية لفولوس وكميل ــ ص ١٣٠ ٠

٧٨ــ اللؤلؤ المنثور ص ٦١ و ٢٤٥ والطرفة النقية في تاريخ الكنيسة المسيحيــة ــ ص ١٤٣ ٠

السريانية . ولا بد من أن مدرسة الرها اهتمت أيضاً بتدريس الفلسفة على مذهب أرسطو ، والعلوم اللغوية والأدبية باللغتين السريانية واليونانية(٧٩) .

فأقبل عليها الطلاب من كل صوب وبخاصة من بلاد فارس فسميت بمدرسة الفرس نسبة اليهم ذلك ان السريان الغربيين أطلقوا لقب الفرس على اخوانهم القاطنين في الدولة الساسانية أو النازحين عنها(٨٠) وقد سبقت مدرسة الرها سائر مدارس ما بين النهرين ، وصارت مركزاً مهماً للتعليم الديني ومصدراً للاشعاع الروحي في تلك الديار ، وأنجبت علماء أعلاماً وفلاسفة عظاماً يذكرهم التاريخ بالتجلّة والاحترام .

وليس بمقدورنا معرفة شيء عن أسلوب الحياة الروحية والاجتماعية في مدرستي نصيبين والرها ـ اذ لم يصل الى أيدينا شيء من القوانين المتبعة فيهما على عهد مار أفرام أما القوانين السريانية التي رتبت على الالفباء وجاءت كارشادات للرهبان وقيل ان مار افرام وضعها لمدرسة الرها، فيرى النقاد انها ليست له حيث ان تعابيرها السريانية الركيكة تبرهن على انها وضعت بعد مار أفرام ونحلت له(٨١) لتستمد قوة . أما مدرستا نصيبين والرها فكانتا على ما أرى تسيران بقانون العرف المتبع والعادات التي سارت عليها جماعات الرهبان في ذلك العصر وهي عادات موافقة لحياة رئيس المدرسة ومعلميها ونظم رهبانية أخذت بالتقليد .

★ ★ ★

٧٩ـ الدرر النفيسة ج ١ ص ٥٧٢ .

٨٠ـ المصدر نفسه ص ٥٢٤ والآداب السريانية لفولوس وكميل ج ١ ص ١٣٠ .

٨١ـ وثائق سريانية وعربية ـ للبروفسور ارثر فوبوس ـ طبعة ستوكهولم ١٩٦٠ ص ١٨ عن مخطوطات باريس السريانية ١٣٦ ـ ٢٤٦ ب .

الفصـــل الثـــامن

التيارات الفكرية الدينية الخطرة

التي ظهرت في المسيحية في قرونها الأولى

على اثر انتشار البشارة الانجيلية في العالم ، ظهرت بين جوانبها حركات فكرية دينية غريبة عن روح عقيدتها السمحة ، ذلك ان بعض المتنصرين من اليهود والوثنيين حاولوا دس سموم خرافاتهم في الايمـــان المسيحي ، واذ كان بعضهـــم ممن درس الفلسفة ورسخت قدمه بسائر العلـــوم المدنية تمكـــن من بث الشكوك في قلوب البسطاء من المؤمنين ولكن الكنيسة كانت لهم بالمرصاد ففحصت آراءهم واذ وجدتها كفرية بعيدة عن الحـــق أقصتهم عنها وصانت أبناءها من الانزلاق في مهاويهم ٠

ومن جملة المبتدعين الذين كان لمار أفرام مع آرائهم شأن خطير طيطيانس ومرقيان وبرديصان وماني واريوس ، ولا بد لنا من أن نلم بحياة كل واحد منهم ونستعرض باختصار فكره الدينـــي ٠

١ ــ طيطيانس : ولد وثنياً في بلاد آشور ســـنة ١١٠ م ودرس اليونانية والسريانية وتنصر في رومية ، وتتلمذ لمـــار يوسطينوس الفيلســـوف ثم رجع ســـنة ١٧٢ الى بلاد ما بـــين النهرين وعلم بالهين ، اله مخلوق واله خالق ٠ وقال ان جســـد

السيد المسيح لم يكن حقيقياً ، ثم تبع الانكراتيت الذين يحرمون اللحم والخمر والزواج ٠ ومات حوالي سنة ١٨٠ ٠

كان طيطيانس أديباً قديراً بقي من مؤلفاته رسالته الى اليونان يدافع بها عن المسيحية ، وكتاب الدياطسرون الذي آلفه عام ١٥٢ وهو سبك الأناجيل الأربعة في رواية واحدة ٠ وقد فسره مار أفرام ٠ الا أن أصل هذا التفسير السرياني قد فقد وحفظ في ترجمة أرمنية[٨٢] نقل هذا الانجيل الى اليونانية وسمي دياطسرون واستعملته بالسريانية كنيسة الرها وأقليم الفرات حتى أبطل استعمالهالقديس رابولا الرهاوي (+ ٤٣٥) وصلت الينا ترجمة عربية قديمة للدياطسرون وطبعت غير مرة ٠

٢ ـ مرقيون : كان ابن أسقف في بلاد البنطس ، طرده أبوه لفساد سيرته ، فذهب الى رومية[٨٣] حوالي سنة (١٤٠ ـ ١٥٠) وضل عن جادة الحق ٠ وتمسك بفلسفة زينون ولم يقبل سوى انجيل لوقا وعلم بثلاثة مبادىء الصالح والعادل والمادة التي هي الشر وارتاب في التجسد والآلام الخلاصية والقيامة والمجازاة الأبدية وسمح بتكرار المعمودية لمن سقط في الخطية[٨٤] ٠

وتبعه قوم كثيرون وجد منهم في القرن الرابع بقية غير قليلة ٠

٨٢ـ سيرة مار أفرام المخوري أرملة ص ٣٣ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٩ عن تاريخ أوسابيوس ٤ : ٢٢ و ٢٥ و ٥ : ١٣ دائرة المعارف البريطانية ٠

٨٣ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٠٧ و ١٠٨ ٠

٨٤ـ الخريدة النفيسة ـ ج ١ ص ١٦٤ والدرر النفيسة ص ٢٤٠ ٠

٣ ـ برديصان : هجر أبوا برديصان الوثنيان نوحاما ونحشيرام وطنهما حدياب(اربيل) الى الرها ، فولد برديصان على ضفة نهر ديصان في ١١ تموز عام ١٥٤ م(٨٥) فسمي ابن ديصان وتربى في قصر معنو الثامن ملك الرها (١٣٩ـ١٧٩) وتعلم اليونانية بجانب السريانية وتنصر وهو ابن خمس عشرة سنة وتتلمذ لاوشتاسب أسقف الرها فعلمه أصول الدين المسيحي وربما رسمه كاهناً .

هوى برديصان في بدع مختلفة منها انه قال : بثلاث طبائع كبرى : ـ العقل والقوة والضمير ، وأربعة كائنات هي النار والماء والنور والروح ، ومن هذه الكائنات انبثقت كائنات كثيرة تبلغ ٣٣٦ وان الذي كلم موسى والأنبياء هو رئيس الملائكة وليس الله وان العذراء لم تلد جسما يموت بل نفساً نيرة ارتدت جسداً . وقال أيضاً ان الملائكة والكواكب خلقت الانسان وأعطته النفس والكواكب السبعة منحته الأعضاء(٨٦) .

فنصح له أسقف الرها خليفة أوشتاسب بالكف عن اشاعة البدع والاسراف فيها فلم يرعو فحرمه(٨٧) وعاش ٦٨ سنة ومات سنة ٢٢٢ م .

يوضع برديصان في الرعيل الأول بين أدباء السريان الأكفاء وشعرائهم المجيدين ، فان قلمه سيال ، ولغته سهلة

٨٥ـ كما ارتأى مؤلف تاريخ الرها وابن العبري . أما مار ميخائيل الكبير فيقول انه ولد سنة ١٦٤ ويقول ايليا النصيبيني انه ولد سنة ١٣٤ (انظر كلدو وآثور طبعه بيروت ١٩١٣ مج ٢ ص ٢٠) .

٨٦ـ تاريخ مختصر الدول لابن العبري طبعة بيروت ١٩٥٨ ص ١٢٥ ومنارة الاقداس له بالسريانية ركن ٤ ب ٦ ف ٣ م ٣ .

٨٧ـ تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٢٠ : ٣ و ١٢١ : ١ .

وسلسة ، وكتاباته البليغة خير برهان على بلوغ الأدب السرياني ذروة المجد في القرن الثاني للميلاد ٠

وقد نظم مئة وخمسين نشيداً على نسق مزامير داود مزج فيها السم بالدسم ، ولقنها الأحداث فكانوا يترنمون بها ، وهكذا انتشرت ضلالته(٨٨) ٠

واننا نسجل هنا بمداد الأسف أن التراث الثمين الذي دبجه يراع برديصان القوي قد فقد ، ذلك ان السريان أبغضوا السحر والسحرة وكان برديصان واحداً منهم فأتوا على كتاباته، ولم يصل منها الى أيدينا سوى كتابه في شرائع البلدان(٨٩) وفيه يعترف باله واحد خالق جميع الأشياء ويظهر ايمانه بالسيد المسيح وينكر القدر ٠ ويقول بالحرية والدينونة الأخيرة ٠ ولعله كتبه قبل ستوطه بالضلالة أو على رأي أوسابيوس القيصري ان برديصان تاب أخيراً ونبذ أضاليله فان صح هذا الرأي فلعله كتب كتابه المذكور أعلاه بعد توبته ٠

٤ ـ ماني : كان من بيت لافاط في بلاد فارس ولد على الأرجح سنة ٢٤٠ يتيماً فربته أرملة غنية وهذبته بكتب زوجها ولما ماتت استأثر بالكتب والأموال ٠ ثم تنصر ورسم قساً ثم سقط في هوة الضلالة واتخذ له اثنى عشر تلميذاً وأرسلهم الى بلاد الشرق بأسرها حتى الهند والصين ، وزرعوا فيها علم الثنوية وهو ان للعالم الهين اله الخير وهو معدن النور واله الشر وهو

٨٨ـ ذخيرة الأذهان مج ١ ص ٥٧ ٠

٨٩ـ طبعة كورتون مع ترجمته الانكليزية سنة ١٨٥٥ وطبعة نو مع ترجمته الفرنسية سنة ١٨٩٩ وترجمه ميركوس الى الألمانية سنة ١٨٦٣ (انظر كلدو وآثور ١٩١٣ مج ٢ ، ص ٢٠) ٠
ليوسف رزق الله غنيمة بحث عنوانه (برديصان والبرديصانية) في في المشرق البيروتية ٠

معدن الظلمة ، وحرّم ماني الزواج وأنكر القيامة ، وقال أيضاً بالتناسخ ٠ وان السيد المسيح لم يأخذ جسداً ونفساً ولكنه ظهر خيالا ٠ وقد قتل ماني على يد ملك الفرس(٩٠) ٠

لم يصل الينا من مؤلفاته سوى شذرات بليغة جداً تشهد على مكانته السامية ، في الأدب السرياني الذي يضعه في مصف برديصان ٠ ومن مؤلفاته الأسرار والفصول والانجيل والكنز وله رسائل أشهرها رسالة الأساس وكلها مفقودة(٩١) ٠

٥ ـ اريوس : كان قسيساً في كنيسة الاسكندرية اعتقد بأن الابن ليس الهاً بل خلقه الله في أول خلائقه(٩٢) وهو أصغر من الأب وسلطانه منبثق منه وأخذ يبث هذه العقيدة الشنعاء في أرجاء الامبراطورية الرومانية كافة حتى فندها المجمع النيقاوي المسكوني الأول عام ٣٢٥ وحرمه اياها ورتب الجزء الأول من دستور الايمان المسيحي المبني على أساس الكتاب المقدس ويبتدىء بعبارة « نؤمن باله واحد » وينتهي بعبارة « ونؤمن بالروح القدس »(٩٣) ٠

★ ★ ★

٩٠ـ تاريخ مختصر الدول للعلامة ابن العبري ص ٧٦ و ٧٧ و ١٢٩ و ١٣٠ ومنارة الأقداس له بالسريانية ركن ٤ باب ٦ فصل ٣ مقصد ٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ١١٧ ـ ١١٩ وتاريخ الكنيسة الأنطاكية ج ١ ص ١٥٣ ٠

٩١ـ تاريخ كلدو وآثور ـ ص ٢٢ عن قاموس اللاهوت ـ انظر أيضا فهرست ابن النديم طبعة مكتبة خياط ببيروت بالأوفست عن طبعة الدكتور اوكيست ميلر عام ١٨٧٢ ص ١٢٧ ـ ١٣٧ ٠

٩٢ـ منارة الأقداس لابن العبري بالسريانية ر ٤ ب ٦ ف ٣ م ٣ ٠

٩٣ـ في سري التجسد والفداء للمؤلف طبعة حمص ١٩٥٩ ص ٦ و ٧ ٠

الفصـــل التاســـع

الفكر الديني لدى مار أفرام

تربى مار أفرام في بيت مسيحي عبقت الفضيلة رائحته ، وفاح عطر الايمان في جوانبه · وقد تتلمذ لمار يعقوب أسقف نصيبين وعلى يديه تدرج في مبادىء العقيدة وتعمق في أصول العلم الديني وفروعه · وان حضوره مجمع نيقية (٣٢٥ م) بصحبة مار يعقوب أسقف نصيبين ، كان خير فرصة له للتعرف على رجالات الكنيسة والاقتداء بهم في التمسك بالايمان القويم بعروة وثقى · فالفكر الديني لديـه اذن هو وليد ترعرعـه في أحضان الكنيسة · وقد رسخ الايمان النيقاوي في دماغه فرأى في المبتدعين أعداء للدين فناهضهم ودحض تعاليمهم رافضاً اياها رفض النـواة ، ورأى في الآباء القديسين مناصـرين للايمـان ومحافظين على العقيدة فمدحهم وأطرى جهادهم واقتدى بهـم ودعا الى التمثل بسيرتهم والنسج على منوالهم · وكان كل ذلك عاملا أساساً لتكوين الفكر الديني لديـه ، ويضـاف الى ذلك تعمقه في علم اللاهوت وسبره غور الكتاب المقدس ، وتبحره في تفسيره وشرح حوادثه وآياته ونبواته مستنداً بهذا أيضاً الى مصنفات تلامذة الرسل وآباء الكنيسة من العهد الرسولي حتـى مجمع نيقية كما انه أجاد اللغة السريانيـة التي يعد عملاقهـا

الأوحد نثراً وشعراً(٩٤) وصار « مستعداً دائماً للاحتجاج ولاجابة كل من يسأله عن سبب الرجاء الذي فيه » (١ بط ٣ : ١٥) ·

وهكذا صان جوهرة الايمان صافية براقة لا تشوبها شائبة · وشرع يناهض البدع ويقارع أتباعها الذين انتشروا في الرها · حتى وصفه يوحنا الذهبي الفم (+ ٤٠٧) قائلا : « كان على الهراطقة كسيف ذي حدين » يدفعه في كل ذلك محبته للايمان وتمسكه بالعقيدة ، فهو يشبه الايمان بالجوهرة النفيسة ويقول في أحد ميامره ما نعرب فيما يلي أجزاء منه بتصرف :

يا أخوتي ، انني تناولت ذات يوم جوهرة ، أبصرت فيها أسراراً أعني بها أهل الملكوت الذين هم عبارة عن صور تلك العظمة وأشكالها وصارت لي ينبوعاً ، شربت منه أسرار الابن ·

قد كانت لي تلك الجوهرة بمثابة قراءة الأسفار وتفاسيرها ، كالمن الذي قام وحده مقام الأطعمة للشعب (في العهد القديم) بطعومه المختلفة ·

ولو شئت أن أسألها هل لديها من أسرار أخرى ، لم يكن لها فم لأسمع منها (الجواب) ولا آذان لتنصت الي . فيا لها من جوهرة لا حواس لها أكسبتني شعوراً جديداً ·

فأجابتني قائلة : أنا درة اليم الذي لا يحد ، وكنز البحر الذي خرجت منه هو أعظم من الرموز التي في ، ففتش عن البحر ولكن لا تفحص عن سيده ·

٩٤- قد أثبت السيد يوسف سمعان السمعاني في ترجمة مار أفرام التي نشرها في المجلد الأول عن المكتبة الشرقية صفحة (٥٥) ان مار أفرام كان يعرف من اللغات العبرانية واليونانية والمصرية بجانب لغته السريانية التي هو أمامها (انظر ايضا تاريخ سورية للدبس ج ٢ م ٤ ص ٢١١) ·

رأيت الغواصين الذين جدّوا في طلبي ، يعودون من البحر الى اليابسة حيارى ، ولم يحتملوا هنيهة قصيرة · ومن ذا الذي يمكث ليفحص غور الاله ؟

أيتها الجوهرة بك مثل الملكوت ، والبتولات الخمس اللواتي دخلن (العرس) ومصابيحهن نيرة[٩٥] وبك تشبهت القديسات أيتها المتسربلة بالنور » ·

وقد دحض مار أفرام تعاليم طيطيانس ومرقيون وبرديصان وماني دون أن يلجأ الى البرهان المنطقي ومقارعة الحجة بالحجة ، بل كان بأناشيده وأشعاره يثبت الايمان في قلوب الشعب ويبعدهم عن مواطن الضلالة · حيث انه « ألَّف ما ألف للشعب والرهبان فلم يتعمق في النظريات اللاهوتية ، غير انه ألقى في عظاته الأدبية من شعلة الحمية ونار الحماسة ما بلغ بها كنه القلوب[٩٦] فنسمعه في أحد أناشيده يقول : » ان الشيطان أضل مرقيان وأصابه بالجنون فاحتقر صانعه واستصغر خالقه · ولبس الشيطان ماني كثوب نطق من داخله· ومنح بريصان مخزناً مليئاً بالزوان فأخفى فيه الحنطة وخنقها ·

ان كلام برديصان يظهر للناس كأنه نقي ولكنه يبطن التجديف · أما مرقيان فهو كالزانية الوقحة · لقد تقيأ ماني كالتنين وأخرج المرارة لأبنائه · وتشبث وتلاميذه بنسيج العنكبوت[٩٧] » ·

وحيث ان تعاليم برديصان الوخيمة كانت قد انتشرت

٩٥- اشارة الى مثل السيد المسيح الذي ضربه عن العذارى الحكيمات والجاهلات · انظر انجيل متى ص ٢٥ : ١ - ١٣ ·

٩٦- اللؤلؤ المنثور ص ٢٥١ و ٢٥٢ عن تيكسورن في مختصر البترولوجيا ص ٢٩٧ ·

٩٧- مداريش مار أفرام - لوفان ١٩٥٧ ١٦٩ ص ٣ ·

انتشاراً واسعاً في الرها ، وكان تلاميذه وخاصة ابنه هرمونيوس ينظمون أناشيد مليئة بالخرافات لا تقل ضلالتها عن ضلالة أناشيد برديصان نفسه ، لذلك حاربهم مار أفرام بسلاحهم اذ هو الآخر أخذ ينظم أناشيد على أوزان منظومات برديصان(٩٨) ولقنها الفتيان والفتيات قرّع فيها برديصان وكشف النقاب عن هرطقته ، وهكذا رسخت أناشيد مار أفرام في قلوب الشبيبة فرتلوها في الكنيسة والدور والأسواق • وخزي أتباع برديصان وساؤوا مصيراً •

وكان مار أفرام بالمرصاد لكل من تسوّل له نفسه محاربة الكنيسة ، فهذا الامبراطور يوليانس الجاحد (٣٦١ ـ ٣٦٣) الذي ما ان اعتلى دست الحكم حتى كفر بالدين المسيحي واعتنق الوثنية وعزم على ملاشاة النصرانية على زعمه فاضطهد أتباعها(٩٩) ، يشهره مار أفرام على رؤوس الأشهاد ويحذر الناس من طغيانه ويشبهه بذئب خاطف جاء بثياب الحملان وحاول افتراس الرعية الآمنة(١٠٠) •

★ ★ ★

٩٨ـ المكتبة الشرقية ليوسف شمعون انسمعاني باللاتينية ٢٤ : ١٦٤ وسيرة الشهداء بالسريانية طبعها بيجان سنة ١٨٩٠ (٣ : ٦٢١) وذخيرة الأذهان مج ١ ص ٩٩ •

٩٩ـ الدرر النفيسة ـ ص ٥٠٥ و ٥٠٩ •

١٠٠ـ مداريش مار أفرام مج ١٧٤ ص ٧٥ انظر أيضا سيرة مار أفرام ـ للخوري اسحق أرملة ص ٤٨ ـ ٥١ •

الفصل العاشر

مار أفرام يزور مصر

جاء في سيرة مار أفرام أنه تاق الى زيارة مصر موطن النسك والزهد والتقشف والى لقاء مشاهير النساك المصريين وخاصة الأنبا بشواي وكان في شوقه هذا مدفوعاً من قبل قوة خارقة للطبيعة ٠

وكان الأنبا بشواي قد اشتهر في ذلك الزمان بأعمال النسك ، وتلخص سيرته بما يلي : انه ولد سنة ٣٢٠ م في بلدة شنشا من أعمال مصر ، وظهر ملاك الرب في رؤيا لوالدته طالباً منها أحد أبنائها السبعة فأجابته خذ من تريد فأمسك بالفتى بشواي وكان نحيف الجسم فقالت له : يا سيدي خذ واحداً قوياً ، فأجابها هذا هو الذي اختاره الرب(١٠١) وترهب في الأسقيط(١٠٢) على يد الأنبا بموا تلميذ القديس مكاريوس المصري ومعلم الأنبا يوحنا القصير(١٠٣) وتمرس بأقصى أعمال الزهد وكان مغالياً جداً في التعبد حتى قيل انه كان يربط شعر

١٠١ـ موجز تاريخ المسيحية ـ يسطس الدويري ـ القاهرة ١٩٤٩ مج ١ ص ٢١٨ ٠

١٠٢ـ الاسقيط كلمة يونانية معناها منسك او مكان العبادة أطلقت على وادي النطرون الواقع غرب الدلتا على امتداد مديرية التحرير في مصر ٠

١٠٣ـ دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية ـ للدكتور حكيم أمين ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ٧٣ عن مخطوط في يوحنا القصير ـ ميمر الأنبا بشواي ورقة ٤٢ ب ٠

رأسه في بروز في صخرة لكي يظل منتصبا ومستمراً في الصلاة ولا يتغلب عليه النوم نتيجة الاجهاد(١٠٤) وقد اتخذ له مغارة هناك وتجمع حوله عدد من النساك وشيدوا لهم القلالي فألبسهم الثوب الرهباني وبنى لهم كنيسة وكان ذلك على الأغلب في المدة الواقعة بين سنة ٣٧٥ وسنة ٣٨٥(١٠٥) ورقد بالرب سنة ٤١٧ م وهو يعد بين قادة رهبان الجماعات المشهورين كمكسيموس ودوماديوس وأرسانيوس وموسى الأسود ٠ ومما يحكى عنه أنه عندما التقى مار أفرام ولم يكن أحدهما يعرف لغة الآخر ، صليا معاً ، فألهم الأنبا بشواي السريانية وألهم مار أفرام القبطية(١٠٦) ومكث مار أفرام بضيافة الأنبا بشواي مدة أسبوع ثم غادره(١٠٧) ٠

ويرى بعض النقاد ان زيارة مار أفرام السرياني للأنبا بشواي ولمصر لا أصل لها من الصحة(١٠٨) ٠

★ ★ ★

١٠٤- أديرة وادي النطرون - دكتور منير شكري - الاسكندرية ١٩٦٢ ص ٥٧ ٠

١٠٥- دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية - الدكتور حكيم أمين ص ٧٥ والأديرة المصرية العامرة - القمص صموئيل تاوضروس السرياني ٠ مصر ١٩٦٨ ص ١٢١ عن دليل المتحف القبطي الجزء الثانى ص ٨٩ الذي يذكر ان دير الأنبا بشواي بناه أتباعه في القرن الرابع ٠

١٠٦- سيرة مار أفرام - للخوري أرملة - ص ٥٦ ٠

١٠٧- أديرة وادي النطرون - دكتور منير شكري - الاسكندرية ١٩٦٢ ص ٥٨ وسيرة مار أفرام للخوري اسحق أرملة - ص ٥٨ عن رحلة الأب ميشيل جوليان اليسوعي الى الصعيد عام ١٨٨٢ ص ٣٠ عدد ١٠ ومجلة المشرق ٢٣ : ١٩٢٥ : ٥٨٣ ٠

١٠٨- الأديرة المصرية العامرة - الأب القمص صموئيل تاوضروس السرياني - مصر ١٩٦٨ ص ١٤٢ - وتاريخ كلدو وآثور - للمطران ادي شير ج ٢ ص ٤٨ ٠

الفصل الحادي عشر

مار أفرام يزور مار باسيليوس أسقف قيصرية قبدوقية

وجاء في سيرة مار أفرام أيضاً أنه بينما كان نائماً رأى في حلم باسيليوس بشبه عمود ناري ممتد من الأرض الى السماء فتاق الى رؤيته بالجسد ٠ لذلك بعد الانتهاء من زيارته لمصر واجتماعه الى الأنبا بشواي ركب البحر من الاسكندرية واتجه وتلميذه الى قيصرية قبدوقية فوصلا اليها ليلة عيد الدنح ٦ كانون الثاني وحضرا القداس صباح العيد متخفيين ، وشاهدا القديس باسيليوس متشحاً بحلته الحبرية الفاخرة فساورت مار أفرام الشكوك اذ لم يتمكن أن يوفق ما بين الرؤيا التي شاهدها ، حيث قد رأى مار باسيليوس كعمود ناري ، وبين المنظر الذي يراه في الكنيسة حيث وجده يتشح بالثياب الناعمة الفاخرة المزركشة وبيده عكاز من فضة مطلي بالذهب ٠

وعندما انبرى باسيليوس يعظ الشعب رأى أفرام بعين الروح حمامة واقفة على كتفه اليمنى ، كما ان باسيليوس علم بالروح وجود مار أفرام في الكنيسة فأرسل يستدعيه وتبادلا عبارات المجاملة وعاتب الأسقف ضيفه لأنه لم يحسن الظن من أول الأمر في نسكه وأراه المسوح التي كان يرتديها في الداخل(١٠٩) ٠

١٠٩ـ الخريدة النفيسة ـ ج ١ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ ٠

ورغب مار باسيليوس في أن يرقى مار أفرام الى رتبة الكهنوت فاعتذر تواضعاً ، فرقى تلميذه . وكانا يتخاطبان بوساطة ترجمان فدعا أحدهما الآخر للصلاة لكي ينعم الرب عليهما بموهبة الرسل فاستجاب الرب لهما وتكلم أحدهما بلغة الآخر(١١٠) ثم عاد مار أفرام وتلميذه الى الرها .

وكان باسيليوس من مشاهير رجالات الكنيسة فقد ولد نحو سنة ٣٢٩ في قيصارية قبادوقية ودرس الفلسفة في القسطنطينية وأثينا ، وتعلم الخطابة في أنطاكية وسنة ٣٥٦ تعمد وسنة ٣٥٨ هجر العالم ورحل الى مصر وفلسطين والجزيرة ، وأخذ طريقة النسك عن أشهر النساك فيها . فترهب ثم أنشأ ديراً على ضفة نهر ادريس ، وجمع حوله النساك وألف لهم قوانين وسيم قسا عام ٣٦٢ فمطراناً لقيصرية قبدوقية سنة ٣٧٠ واهتم بتعليم شعبه وتخفيف وطأة شقائه وباعالة الفقراء والعجز مؤسساً لهم ملاجىء وناهض البدعة الأريوسية وانتقل الى جوار ربه سنة ٣٧٩ وترك خطباً تظهر بلاغتها في سهولة فهمها . وله كتب لاهوتية عديدة ومقالات نسكية وتفاسير(١١١) . ويستبعد بعض الناقدين زيارة مار أفرام لمار باسيليوس .

★ ★ ★

١١٠- المصدر السابق .

١١١- عن الدرر النفيسة ص ٥٢٩ - ٥٣١ وتاريخ سورية للدبس ج ٢ مج ٤ ص ٢٢١ عن سقراط ك ٤ ف ٢٦ وسوزيموس ك ٦ ف ١٦ وما يليه وايرونيموس كتاب المشاهير ف ١١٦ انظر أيضا تاريخ كنيسة مدينة الله أنطاكية - ج ١ ص ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٤٨ .

الفصل الثاني عشر

مار أفرام أول مؤلف جوقة من الفتيات السريانيات

بدأت الطقوس البيعية في فجر النصرانية أدعية تتلى ومزامير ترنم في اجتماعات المؤمنين للصلاة وتقديم القربان المقدس .

واهتم مار أفرام بالحياة الطقسية في الكنيسة السريانية اذ أدخل اليها أناشيده المنظومة الموقعة على ألحان خاصة(١١٢) كما ألف جوقة صالحة مختارة من فتيات الرها اللواتي علمهن ما ابتكره أو ما اقتبسه من الأنغام الموسيقية وما نظمه من القصائد الروحية البديعة والتراتيل الشجية التي ضمنها العقائد الدينية وصورة الايمان المستقيم وهكذا ناهض الهراطقة . « وكان أفرام البطل الشجاع ينتصب وسط صفوف الفتيات انتصاب الشيخ الوقور ، وينشد ما سبق فنظمه بيتاً بيتاً وهن يرددن « اللازمة » وينصتن لما يقول ويطبعنه في أذهانهن ويتغنين به في بيوتهن ويلقنه الأطفال مع الحليب في مهودهم(١١٣) نسمعه في أحد أناشيده يناجي أولئك العذارى ليفرحن في مديح العذراء مريم فيقول :

« ابتهجن أيتها العذارى بالعذراء المملوءة عجباً فقد ولدت الجبار الذي قيد الشيطان وسجنه ، لئلا يغرر بالشابات » .

١١٢ـ اللؤلؤ المنثور ص ٦٨ و ٦٩ .

١١٣ـ سيرة مار أفرام السرياني للخوري اسحق ارملة ص ٥٤ .

وقد صارت أناشيده وأشعاره جزءاً من صلب الطقس السرياني في حياته ، ولا تزال الكنيسة السريانية بفروعها تترنم بها صباح مساء . « ولا نجد في فروض هذه الكنيسة أثراً أقدم من آثار مار أفرام معروفاً مؤلفه الا ميمرين من وضع القديس الشهيد شمعون ابن الصباغين (+ ٣٤١) مثبتين في فروض الكلدان »(١١٤) .

لا شك في أن مار أفرام بتأليفه جوقة المرتلات من الفتيات رفع من مقام المرأة وبرهن عملياً على أن أمر الرسول بولس في رسالته الأولى الى أهل قورنثية (١٤ : ٣٤) حيث يقول « لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن » قد برهن على أن هذا الأمر كان تنظيماً موقتاً ليس الا وان هذه الصيغة من الطلب تخص اللواتي دأبن على اللغو والهرف بما لا يجدي ، في الوقت الذي يكون الجميع أمام العزة الالهية مصلين قانتين خاشعين . وان المرأة كالرجل لها الحق في تسبيح الله في الصلاة الجمهورية . فالرسول ساوى بينهما في نفس رسالته ص ١١ : ١١ فيقول : « غير ان الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب » .

فالى مار أفرام يعود الفضل في تنظيم الحياة الطقسية في الكنيسة السريانية وبتأليف الجوقات الكنسية التي تشنف اليوم آذان المؤمنين في البيع وترفع أفكارهم الى السماء وتخلق في نفوسهم الخشوع فيسكبون ذواتهم بالتوبة أمام الرب ، ويسجدون لله تعالى بالروح والحق .

١١٤- موجز علم الليتورجيا - المخوري ميشال بريدي - بيروت ١٩٦٦ ص ٢٦٧ عن النبذة التاريخية في الفروض البيعية للمطران يوسف الدبس في مقدمة طبعته الاسحيم في بيروت سنة ١٨٩٠ ص ١٦ - ١٧ (انظر أيضا تاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٦٩ و ٧٠) .

الفصل الثالث عشر

مار أفرام والجوع في الرها

كانت المجاعات تكثر خاصة على اثر الحروب والغزوات وفي سني القحط حيث تنحبس الأمطار فتبخل السماء بها على الأرض ، وهذه تمسك عن الانسان بغلتها وخيراتها ، وقد حدث ذلك في الرها في شتاء سنة ٣٧٢ ـ ٣٧٣ م فعم الغلاء الفاحش ، ومات عدد غير يسير ، من أهلها ، جوعاً ·

وحيث ان من أهم القيم الروحية التي أمر بها السيد المسيح أتباعه هي ممارسة أعمال الرحمة ، حيث قال « أريد رحمة لا ذبيحة » (متى ٩ : ١٣) « وطوبى للرحماء لأنهم يرحمون » (متى ٥ : ١٧) واذا كانت هذه الوصية قد وجبت على المؤمن فهي أكثر الزاماً على الراهب الذي بذل نفسه بسخاء لخدمة الله وأبناء البشرية المحتاجين الى الرحمة والذين يدعوهم السيد المسيح (أخوته) قائلا : « كل ما فعلتم بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتموه » (متى ٢٥ : ٤٠) لذلك رأينا مار أفرام يطوف دور الأغنياء في الرها ويحثهم على أعمال الرحمة ويجمع منهم الصدقات(١١٥) ويوزعها على الفقراء · وأسس دوراً جمع فيها ثلاثمائة سرير وقيل بل ألف وثلاثمائة سرير صارت ملجأ للعجزة ، وكان يشرف بنفسه على

١١٥ـ الخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٥٥ وذخيرة الأذهان مج ١ ص ٩٨ ·

الاعتناء بهم(١١٦) وعلى أثر الجوع انتشر وباء الطاعون . فانبرى مار أفرام في تطبيب المرضى ومواساتهم حتى أصيب بدوره بداء الطاعون(١١٧) واحتمل صابراً آلامه المبرحة . وفاضت روحه الطاهرة في ٩ حزيران عام ٣٧٣م(١١٨) وترأس صلاة الجناز على جثمانه مار بورسا أسقف الرها (٣٦١ـ٣٧٨) واشترك بذلك عدد وافر من الكهنة والرهبان وشعب الرها المؤمن . ودفن في مقبرة الغرباء في ظاهر مدينة الرها ، بناء على وصيته ، وبني على ضريحه دير عرف بالدير السفلي(١١٩) ثم نقل جثمانه الطاهر الى مقبرة الأساقفة في كنيسة الرها الكبرى . وقيل انه نقل عام ١١٤٥ م الى أوربا مع دخائر بعض القديسين(١٢٠) وتعيد له الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في السبت الأول من الصوم الكبير(١٢١) وتقيم الكنيسة الكلدانية تذكاره في جمعة أسبوع باعوث نينوى . والكنيسة المارونية في ٢٨ كانون الثاني وكذلك الكنيسة الرومية الملكية . أما الكنيسة الأرمنية ففي السبت الأول من كانون الثاني . وقد أعلن البابا

١١٦ـ سيرة مار أفرام للخوري اسحق أرملة ص ٧١ عن سيرة الآباء القديسين طبع الموصل ١ : ٩١ .

١١٧ـ الآداب السريانية لفولوس كبريال وكميل البستاني ج ١ ص ١٣١ .

١١٨ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ والدرر النفيسة ص ٥٢٤ كما ورد ذلك في خلاصة أخبار الرها . انظر أيضا المكتبة الشرقية للسمعانى والآداب السريانية لروبنس دوفال ص ٣٢٩ وقد ارتأى بعضهم أن الوفاة جرت في ١٨حزيران٣٧٣ .

١١٩ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ .

١٢٠ـ الآداب السريانية لفولوس كبريال وكميل أفرام البستانى ج ١ ص ١٣٢ وسيرة مار أفرام للخوري اسحق أرملة ص ٨٠ و ٨١ والحروب الصليبية فى الآثار السريانية له ص ٩٧ ـ ١٠٧ .

١٢١ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ .

بندكتس الخامس عشر (١٩١٤ ـ ١٩٢٢) مار أفرام السرياني شماس الرها ملفاناً في الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية شرقاً وغرباً وقرر أن يقام تذكار فيها في ١٨ حزيران على توالي الأجيال(١٢٢) فأنعم به من قرار لئن جاء وأعلن بعد أجيال فله دلالته على ادراك ما لهذا الملفان من خلود الذكر في العلوم والآداب واللاهوت ليس على العالم الشرقي وحسب وانما له خلود في آثاره وتأثيراته على الفكر الانساني عامة والمسيحي خاصة في الغرب أيضاً ٠

★ ★ ★

١٢٢ـ سيرة مار أفرام للخوري اسحق ارملة ص ٨٠ و ١٠٣ و ١٠٦ و ١١١ و ١١٥ و ١٣٥ ٠

الفصل الرابع عشر

وصية مار أفرام

في الساعات الأخيرة من حياته المجيدة ، وفي لحظات احتضاره الرهيبة ، أملى على تلاميذه وصيته الأخيرة شعراً(١٢٣) فاهتموا بتدوينها حالا ، وقد ترجمت الى اليونانية بعد وفاته بمدة وجيزة واستشهد بها القديس غريغوريوس النوسي (+ ٣٩٥) خمس مرات في تقريظه اياه(١٢٤) • وقد اعترف مار أفرام بوصيته هذه بايمانه وبيَّن تمسكه بالعقيدة المسيحية وحث تلاميذه على التشبه به • وجاء فيها ما تعريبه بتصرف : أنا أفرام مائت لا محالة وأدوّن وصيتي هذه لتبقى من بعدي ذكراً لكل انسان • الويل لي فان أيام حياتي قد أوشكت على الانتهاء • لقد نفد الزيت في السراج ، وقرب يوم الموت ، ان الأجير قضى ساعة عمله ، ودنا موعد رحيل الغريب وأوبته الى وطنه •

ويلك يا أفرام من يوم الدينونة حيث انك ستقف أمام منبر الابن ويحتاط بك من عرفك (في العالم السابق) •

١٢٣ـ نشرها الأب بولس بيجان في باريس سنة ١٩٠١ ص ٦٨١ ـ ٦٩٦ •

١٢٤ـ المكتبة المختارة لمصنفات آباء نيقية ـ بالانكليزية ـ القسم الثاني الجزء ١٣ ص ١٣٧ ـ ويظن بعض النقاد أن الوصية ليست من وضع مار أفرام ويقول آخرون وهم أكثر انصافا أن بعض أجزاء الصيغة الأصلية قد شوه بزيادات دسها النساخ جهلا •

فتذوب خجلا . أسألك يا يسوع ألا تدع سواك يدين أفرام .
لأن من كان ديّانه الله لا بد من أن ينعم عليه بالرحمة .

هلم يا تلاميذي وأغمضوا أجفاني فأنا مائت لا محالة .
أي تلاميذي : اتخذوا مني مثالا لكم : انني لم أشتم ولم أخاصم أحداً البتة . ولكني كنت على نزاع دائم مستمر مع الكفرة ، ذلك ان الحكيم لا يبغض أحداً ، وان أبغض فانما يبغض الجاهل. أما الجاهل فلا يحب أحداً أبداً . وان أحب فانه يحب رفيقه الجاهل . انني أرتب بالعقيدة ولم أشكك بحقائق الايمان .
لم أملك كيساً ولا مزوداً ولا عصاً اتماماً لوصية الرب .

اقرئوني السلام يا أخوتي وسامحوني لأرحل عنكم (مطمئن البال) ، اذكروني بصلواتكم وطلباتكم ... أستحلفكم يا أبناء الرها قسماً لا حل فيه ، أن لا تحيدوا عن وصاياي ولا تبطلوا شرائعي ، لا تدفنوا جسدي تحت المذبح ولا في الهيكل ، ولا مع الشهداء . لا يضع أحدكم على جثماني ثوباً فاخراً بل واروا جسدي التراب بثوبي وقباعتي(١٢٥) وذلك في مقبرة الغرباء لأني غريب نظيرهم وكل طير يأوي الى شكله .

لا يجدر البكاءعلى الصالحين عند رقادهم...انما يليق بكم أيها الأخوة أن تسكبوا الدموع على أمثالي ممن بدد أيام حياته بالأباطيل .

أستودعك السلام أيتها الأرض ، ولتحل النعمة على سكانك . صلاتي الى الله أن يتوب الخطاة وينال التائبون برارة .

هلم بسلام يا ملاك الموت يا من تفصل النفس عن الجسد ، هلم أفصلهما عن بعضهما حتى يحين موعد البعث » .

١٢٥ـ القبّاعة شائعة لدى رجال الدين المسيحي والمسيحيين عامة وهي تحريف للقبعة قماشة تخاط اراس الرهبان والزهاد العبّاد غالبا .

الفصل الخامس عشر

اثار مار افرام

أدرك مار أفرام اللغة السريانية نقية صافية خالية من العجمة وسائر الشوائب ، وغنية واسعة وأداة طيعة في التعبير عن مختلف الأهداف الفكرية وشتى الأغراض الكلامية فكتب فيها تفاسيره نظما ونثراً ودبج روائعه وبدائعه التي صارت مفخرة الأدب السرياني وكان له القدح المعلى في تقدم مدرستي نصيبين والرها السريانيتين حيث وجدت لها اللغة السريانية مرتعا خصب فنمت وازدهرت ·

مؤلفاته النثرية

تناول مار أفرام الكتاب المقدس بعهديه شرحاً وتفسيراً ، وقد اعتمد الترجمة البسيطة ، ولكثرة شروحه صرح بعضهم انه « لو نفدت ترجمة الكتاب المقدس السريانية الأصلية لتيسر جمع نصوصها من تصانيف مار أفرام »(١٢٦) ويعد في مقدمة من فسر الكتاب لدى السريان · واتبع بالتفسير طريقة مدرسة أنطاكيا بشرح النص آية آية بالمعنى الحرفي بمفهوميه الحقيقي والمجازي ، خلافاً لمدرسة الاسكندرية بمصر التي كانت تتبع التأويل والأسلوب الصوفي الرمزي(١٢٧) ·

١٢٦ـ سيرة مار افرام للخوري اسحق أرملة ـ ص ١٧٤ ·

١٢٧ـ النشرة السريانية الكاثوليكية الحلبية لسنة ١٩٧٣ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ ·

ولم يبق من تفاسيره للكتاب سوى شرح سفر التكوين وجزء من سفر الخروج(١٢٨) وشذور متفرقة من أسفار العهد القديم(١٢٩) نجدها في مجموعة الراهب سويريوس (+ ٨٦١)(١٣٠) ·

أما تفسيره للانجيل المختلط المعروف بالدياطسرون الذي وضعه طيطيانس عام ١٧٠ م فلم يصل الى أيدينا منه سوى ترجمته الأرمنية(١٣١) كما لم يبق من تفاسيره لرسائل الرسول بولس سوى آيات يسيرة ضمن تفسير الانجيل ليشوعداد المروزي أسقف الحديثة النسطوري (٨٤٠ ـ ٨٥٣)(١٣٢) ·

وله مواعظ هي شروح لفصول من الكتاب المقدس ، وله أيضاً مقالات في محبة العلي ، وفصول مختارة من كتاب وسم

١٢٨ـ مخطوط من القرن السابع للميلاد في الخزانة الفاتيكانية رقم ١١٥ وكذلك في برمنكهام رقم ١٤٧ وخزانة بطريركية السريان الأرثوذكس في دمشق ·

١٢٩ـ نشر الأب بطرس مبارك عام ١٧٣٧ و ١٧٤٠ شروح أسفار التكوين والقضاة وصموئيل والملوك في ٥٦٧ صفحة وشروح سفر أيوب والأنبياء الكبار والصغار في ٣١٢ صفحة (انظر سيرة مار أفرام للخوري اسحق أرملة ص ١٧٨ وكتاب المرجانة لعبد يشوع الصوباوي (+ ١٣١٨) ص ٦٩ ·

١٣٠ـ هو أحد رهبان دير الشهيدة بربارة في جبل الرها · عاش في القرن التاسع للميلاد وجمع موسوعة مسهبة من تفاسير الكتاب المقدس بلغت زهاء عشرة آلاف نبذة لأشهر مفسري الكتاب المقدس من آباء الكنيسة من جملتهم مار أفرام ـ حفظت نسختان منها في المتحف البريطاني ومتحف الفاتيكان (انظر اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٩) ·

١٣١ـ تولى نشر الدياطسرون منذ سنة ١٨٩٣ الرهبان الأرمن في مطبعتهم الشهيرة في البندقية ـ ايطاليا · وجمع هيل وروبنصون بعض مقاطع من شروح الدياطسرون ونقلاها الى الانكليزية سنة ١٨٩٥ ·

١٣٢ـ نقل ميز نجر سنة ١٨٧٦ الى اللاتينية النص الأرمني لشرح رسائل بولس الرسول · كما نقله الآباء الميخطاريست الى اللاتينية في فيينا سنة ١٨٩٣ ·

بكتاب الآراء وهو في حياة النسك والرهبنة(١٣٣) • وأرسل خطابين الأول الى دمنوس في نقض الهراطقة • والثاني الى هيباتيوس ردأ على مرقيون وبرديصان وماني • ورسالة بعث بها الى الرهبان ساكني الجبال(١٣٤) •

ومجموعة قوانين في الرهبنة فقد أصلها السرياني وحفظ النقل اليوناني أورد ذكرها غريغوريوس النوسي (+ ٣٩٥) ولم يبق من القصص التي ألفها سوى قصة بطرس الرسول(١٣٥) •

ولأهمية مؤلفات مار أفرام ترجمت الى اليونانية في حياته أو في العقد الأول بعد وفاته ، كما نقلت بعدئذ الى لغات شتى نخص بالذكر منها لغة الضاد فقد نقل اليها ابراهيم بن يوحنا الأنطاكي سنة ٩٨٠ م عدداً من مقالاته في الرهبنة(١٣٦) كما وصل الينا بها أيضاً احدى وخمسون مقالة نقلت من اليونانية اليها حوالي القرن الحادي عشر نقلا فيه الجيد وفيه الملحون وأصلها السرياني مفقود(١٣٧) •

١٣٣ـ مكتبة لندن تحت رقم ٥٨٧ مخطوط نسخ عام ٨٧٦ م •

١٣٤ـ خزانة لندن تحت رقم ٧٨١ وقد ذكرها رأيت في الفهرست ص ٧٦٦ •

١٣٥ـ نشرها البطريرك أفرام الأول برصوم في صدر المجلد الأول من تاريخ الرهاوي المجهول عن مصحف باسبرينة مخطوط في القرن التاسع •

١٣٦ـ الآداب السريانية لفولوس كبريال وكميل أفرام البستاني ج ١ ص ١٤٣ •

١٣٧ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٥١ ـ ومن هذه المقالات أربع نسخ قديمة في المكتبة الشرقية في بيروت سنة ١٢١٦ وكنيسة الرهاويين بحلب رقم ٧٧سنة ١٢٣٨ والفاتيكانية رقم ١٦٩ سنة ١٣٢٥ والزعفرانية رقم ١٠٥ قرن ١٤ ونسخة حديثة في الخزانة البطريركية السريانية الأرثوذكسية في دمشق • وقد نشر منها ٤٠ مقالة في مصر سنة ١٨٩٢ •

وقد نسب اليه كتاب وسم ب « غار الكنوز » وهو قصة آدم وحواء بعد أن طُردا من الجنة(١٣٨) ٠

كما وضع عليه خطأ عظة في نهاية العالم ورد فيها ذكر غزوة الهون التي حصلت في تموز سنة ٣٩٦ أي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة ٠ وكذلك عُزي اليه تأبين للقديس باسيليوس الكبير الذي مات قبل مار أفرام بست سنوات(١٣٩) ٠

مؤلفاته المنظومة

الشعر عند السريان نوعان ، النوع الأول ما يسمى بالميامر أي القصائد وهي الملاحم المسهبة التي تعد أبياتها أحيانا بالآلاف ، تسرد فيها القصص الروحية وسير رجال الكتاب المقدس والكنيسة ٠ أما النوع الثاني فيسمى بالمداريش أي الأناشيد وهي أبيات من الشعر تصاغ على أوزان مختلفة وألحان شتى بلغ عددها الخمسمائة دبجها مار أفرام ، أما مستنبطها فهو برديصان (٢٢٢ +)(١٤٠) ٠

« والنظم قائم ، في كلا النوعين ، على اللحن ، لا على التفاعيل ، ومقيد بالنغم ، لا بالقافية ، فيختلف في ذلك كل

١٣٨ـ نشرها ميخائيل كمشكو في المجلد الثاني من البترلوجيا السريانية ص ١٣١٩ ـ ١٣٦٠ ورأى بعضهم ان الكتاب ألف في القرن السادس للميلاد وقد اقتبس منه كثيرا الراهب الزوقنيني في تاريخه مج ١ ص ٦ ـ ٩ و ٥٩ وما بعدها ونشره بزولد في نبسيك سنة ١٨٨٣ ونقله الى الألمانية ٠ ثم نشر له ترجمة عربية نقلا عن أربع نسخ ونشرت منه السيدة جبسن ترجمة عربية تخالف النص المذكور في الدروس السينائية ج ٨ سنة ١٩٠١ (انظر اللؤلؤ المنثور ص ٢٥٠ و ٢٣١) ٠

١٣٩ـ الآداب السريانية ـ لفولوس كبريال وكميل أفرام البستاني ج ١ ص ١٤٤ عن نولدكه في رسالة عن سيرة الاسكندر ٠

١٤٠ـ اللؤلؤ المنثور ص ٦٢٠ و ٦٢١ ٠

لاختلاف عن الشعر العربي ويقرب من الشعر المرسل · فهو في جوهره ، شعر غنائي ينشد على جميع الأوتار ، متصاعداً من النبرة الخطابية الى النفس الملحمي ، ولذا فان أوزانه لا تحصر في حد ولا أبحره في عد · ذلك ان البيت لا يعتمد على تآلف المتحرك والساكن ، ولا يتكون من الأسباب والأوتاد والفواصل ، بل من تقاطع الكلم الى أصوات متوازية تعادل التقاسيم الموسيقة ، وقد تتراوح الأصوات بين المقطع الواحد والستة عشر مقطعاً ، أو أكثر ، في البيت الواحد ، تفصل بينها محطات وقف مما يجعل ضبط الأبحر متعذراً »(١٤١) ويذكر أنطون التكريتي (+ ٨٤٠) ان عدد البحور الشعرية لدى السريان هو ثمانية عشر بحراً بدءاً من ثلاث حركات حتى العشرين ولكن ليس جميعها مستعملا(١٤٢) ومن أشهرها ما جاء فيه البيت على خمسة مقاطع أو ستة أو سبعة أو ثمانية أو أحد عشر أو اثني عشر ·

ونظم مار أفرام على البحر السباعي خاصة ويكون الموقف فيه عادة بعد المقطع الثالث أو الرابع ، ويدخل على هذا الوزن ثلاثة أشكال مختلفة فيكون اما ثلاث حركات وأربع أو أربع حركات وثلاث أو حركتين وثلاث ثم اثنتين(١٤٣) ·

وارتأى بعضهم أن مار أفرام قد استنبط البحر السابع

١٤١ـ نقلنا هذه الفقرات حرفيا عن الآداب السريانية لفولوس غبريال وكميل أفرام البستاني ـ ج ١ ص ١٩ و ٢٠ ·

١٤٢ـ الشعر عند السريان ـ بالسريانية للمطران يوحنا دولباني تعريب الخوري برصوم يوسف أيوب ـ حلب ١٩٧٠ ص ٢٣ عن كتاب معرفة الفصاحة للربان أنطون التكريتي الفصيح (+ ٨٤٠) ·

١٤٣ـ المصدر السابق ص ٢٧ و ٢٨ ·

الذي سمي أيضاً بالأفرامي ، أو انه أخذه عمن سبقه من الشعراء الذين فقد شعرهم(١٤٤) ٠

ولم يعتمد مار أفرام القافية في نظمه ، لأن السريان لم يدخلوها في شعرهم حتى صدر القرن التاسع ، متأثرين بذلك بالعرب(١٤٥) ٠

وتناول بشعره شتى المواضيع الدينية ، العقائدية والروحية ، فبجَّل السيد المسيح وطَّوب أمه العذراء مريم ومدح الأبرار والصالحين وغبط الزهاد والمتوحدين ، ورثى النفس الخاطئة وحثها على التوبة ، وهجا الكفرة وكفرهم بشخص يوليان الامبراطور الجاحد ، وقرع البدع والمبتدعين خاصة ماني ومرقيون وبرديصان واريوس ، وأكثر من سرد الحكم في قصائده النفيسة وأناشيده البديعة ٠

ومار أفرام شاعر طويل النفس يمتاز أسلوبه في ميامر ومداريشه بالاسهاب ، وشعره عامة سلس ، يرسله على السليقة فيتدفَّق كالسيل العرم ٠

وكانت ميامره ومداريشه تعبر عما احتواه قلبه الكبير من الايمان وما استوعبه عقله الجبار من الحكمة ٠ وقد حازت مكانة القمة في الكنيسة السريانية فأدخلت الطقس البيعي ، وهو لا يزال على قيد الحياة ، ذلك انها اعتبرت خير وازع للمؤمنين يدفعهم الى العبادة كما يشهد بذلك مار يعقوب السروجي بقصيدته التي نظمها فيه حيث يقول ما تعريبه : « ان مار آفرام كنارة الروح القدس ضارع موسى الكليم وأخته مريم بتلقينه العذارى والفتيات ولفيف المؤمنين أنغاماً محكمة بث فيها تعاليم

١٤٤ـ اللؤلؤ المنثور ص ٤٦ ٠

١٤٥ـ المصدر السابق ص ٤٧ ٠

الكنيسة الحقة وأحرز بواسطتها أكليل الظفر والانتصار على أعدائها »(١٤٦) ·

وقد أجاد البطريرك العلامة أفرام الأول برصوم بسرد ما تبقى من منظومات مار أفرام ذاكرأ بالتفصيل عددها ومواضيعها ، رأينا أن نثبت ذلك ههنا زيادة للفائدة(١٤٧) · قال : ــ « ولا نعرف عدد قصائده التي ضاع جانب منها ، والمعروف منها : ١٥ قصيدة في الدنح و ١ في السعانين و ١٥ في الفطير و ٥ في آلام ربنا و ٢ في القيامة وتناول الأسرار في أحد القيامة و ١ في أحد الجديد وقصيدة أولها : عظيمة هي قوة المسيح ، و ٢ في حبل العذراء الطاهرة ومار اندراوس الرسول وتبشير بلاد الكلخ أو القلتين و ٣ في أيوب و ٢ في مار سرجيس ومار باخوس ومار ديميط و ٢٠ في الشهداء ، و ٥ في وفاة الأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان الكاملين والأطفال وكل أحد و ٧ في تركيب الانسان والخلوة للعبادة والغربة والآخرة والنهاية والتواضع ومحبة الفضة و ١١ في التعازي والآخرة و ٧ في الطلبات وغيرها في الحكم والنصائح والايمان والعلم والتوبة و ١ في قول أشعيا النبي : فليزل المنافق لئلا يعاين مجد الله و ١٠ في الشكر على المائدة و ٤ في يوليان الجاحد و ٢٠ في مواضيع شتى ، ونشر له السيد رحماني جزئين حوى أولهما ٣١ ميمرا وشذرات من ميامر أخرى ، في الشكر على المائدة وسقوط نيقوميدية ونقاوة القلب والندامة ، وفي ان الله ليس هو علة للآفات وعناية الله بنا والسهر والتوبة والظلم والنساك

١٤٦ـ عصر السريان الذهبي ـ للفيكونت فيليب دي طرازي ـ بيروت ١٩٤٦ ص ٦٤ عن أخبار الشهداء والقديسين طبعة الأب بيجان مج ٣ ص ٦٦٥ ـ ٦٧٦ ·

١٤٧ـ نصا عن اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٦ ـ ٢٥٢ ·

وأيوب الصديق ومجاهدة الشيطان ، ونقض برديصان وحصار نصيبين والتوبيخ وكيفية اغراء ابليس للناس على ركوب المعاصي ، واشتمل الثاني على عدة ميامر أنشدها في احتباس الأمطار وله قصيدة خماسية نفيسة يخاطب فيها ذاته أولها : كم من مرة جعت · ووصية مشهورة منظومة ، وانما حشيت بزيادات ليست من الأصل بشيء ، ودعاء منظوم ·

ودونك المعروف من آناشيده : ٨٧ في الايمان ورداً على المرتابين ، و ٨٥ في الجنائز ، و ٧٦ في التحريض على التوبة ، و ١٥ في الفردوس الأرضي ، و ٥١ في البتولية وفي أسرار ربنا ، ومن أحفلها بالفوائد ٧٧ نشيداً تعرف بالنصيبينية نظمها بين سنة ٣٥٠ ـ ٣٧٠ بقي منها ٧٠ نشرها بيكل ، صاغ عشرين منها في نصيبين مضمناً اياها ما قاسته هذه المدينة في الحصار سنة ٣٥٠ وفي أثناء حرب الفرس عام ٣٥٩ ـ ٣٦٣ وقرظ في بعض منها أساقفتها المذكورين آنفاً ، وحبك البواقي في الرها ، خمسة منها في أحداث كنيستها وأربعة في عبادة الأوثان بمدينة حران وفي أسقفها بيطس وخص بعضاً منها بمدينة هنزيط ، والأخيرة بآلام ربنا وقيامته وبالبعث والنشور ، ومنها أيضاً ١٥ في ميلاد ربنا ، و ١٥ في الظهور الالهي ، و ١٥ في الفطير ، و ٥٢ في البيعة ، و ٥٦ في نقض الأضاليل ، و ١٧ في ابرهيم القيدوني ، و ٢٤ يوليان الشيخ ، و ٢٠ في الشهداء ، و ١٥ في الوعظ ، و ١٨ في مواضيع شتى ·

وورد في أقدم كتب الألحان أن (السبلات) أي مراقي أو سلالم المداريش التي حبكها مار أفرام هي خمسمائة ، غير أن أوسعها ما شتملت الآ على ١٥٦ وآكثرها لا يزيد على ٤٥ وقد اختلطت بما صُبّ على قوالبها ومعانيها ،

ودبج هذا الملفان أيضاً جانبا من الأناشيد المعروفة بالقالات السهرية والعنيانات بل نسب اليه تخشفتات وقاتسمات واستشهد فيلكسينوس المنبجي (+ ٥٢٣) بكتابين له سماهما فنقيث(١٤٨) نقض اليهود والأضاليل وذكره صاحب تاريخ سعرت(١٤٩) وفنيقيث الشهداء النصيبيين(١٥٠) وهو مجموعة من مداريشه كفناقيث الايمان والبيعة والفطير والنصيبيين التي استشهد بها أنطون التكريتي(١٥١) ... ونسب اليه قصيدة من أجود الأشعار في يوسف بن يعقوب ذات اثني عشر لحناً .

« ذهب بعض النقاد المعاصرين أن مار أفرام كان كاتباً في الأخلاق وواعظاً أكثر منه لاهوتياً — وهذا صحيح — وذلك لقلة مؤونة البحث العقائدي في ميامره ونشائده حتى التي زيف فيها الهراطقة . وانما على أجنحة قداسته طار لها صيت كان لذيوعها كافلا . قالوا ويبهرك منه توقد ذهنه وما حفلت به أشعاره من الاستعارات والصور الجريئة البارعة والرسوم الرائعة والرموز ، وأدوار المخيلة التي تفنن فيها شأن سائر الشعراء الشرقيين — وهو أسلوب لا عهد لليونان واللاتين به —

١٤٨- قال : كلمة سريانية معناها قول صوت ، وهي ترتيلة منظومة تنشد بلحن خاص من الأول الى الثامن . وعنيان : كلمة سريانية معناها جواب وهي ترتيلة تعاد (ردة) ج عنيانات وعناني . وتخشفت : كلمة سريانية معناها ابتهال وهو نوع من الأناشيد السريانية المنثورة . قاتسما كلمة يونانية . أصلها كالسما ، ومعناها مجانس . نوع من التراتيل البيعية المنثورة ج قاتسمات . فنقيث كلمة سريانية معناها مجلد ، المجموع العام . وهو اسم أحد كتب الفرض في الكنيسة أي (الصلاة على الاخلاق ج فناقيث .)

١٤٩- ١ : ٢١١ .

١٥٠- في كتابيه في التثليث والتجسد والفداء - الخزانة الفاتيكانية عدد ٢٦ .

١٥١- القانون العاشر من المقالة الخامسة .

ولكن حظها من الابداع وسمو الأفكار والحماسة يسير(١٥٢) ، وقال آخر وهو أكثر انصافاً ما معناه « انه ألّف ما ألّف للشعب والرهبان فلم يتعمق في النظريات اللاهوتية ، غير أنه ألقى في عظاته الأدبية من شعلة الحمية ونار الحماسة ما بلغ به كنه القلوب وكل ما دبجه حتى الذي بلغ فيه منتهى الاسهاب ، كان في نظر قرائه الأقربين عنوان البيان وآية البراعة ، وهل كان الكاتب الا ابن بيئته ؟ »(١٥٣) .

أما القول بقلة حظه من الابداع وسمو الأفكار والحماسة فهو اعتساف وشطط ويجرحه اجماع ذوي الأذواق السليمة على دفعه ـ وأما الاسهاب في المقال فهو طريقة قلما تعداها قدماء الكتاب السريانيين وغيرهم . وأصح ما يقال فيه ان ادراك بعض أناشيده يستدعي كدّ الذهن وجهد الفكر ، وقد استوضح يوحنا الاثاربي (٧٣٥ +) العلامة يعقوب الرهاوي عن بعض معانيها ، وحبذا لو كان بعض حذاق العلماء القريبين من زمانه عمدوا الى التعليق عليها وكشف مبهمها » .

أشهر ما ترجم ونشر من آثاره

زينت آثار مار أفرام مكتبات الشرق والغرب وهي تعتبر من نفائس المخطوطات في دنيا المكتبات ، ونظر العلم والفن اذ يرجع تاريخ بعضها الى القرون الخامس والسادس والسابع للميلاد . وتوجد خاصة في مكتبات جميع حواضر ومعظم مدن الشرق العربي الشهيرة ومدينة الفاتيكان والمتحف البريطاني واكسفرد وبرمنكهام وكمبردج وباريس وغيرها .

١٥٢ـ هايس في مدرسة الرها ص ١٣٣ وشابو في الأدب السرياني ص ٢٧ ودوفال في تاريخ الرها ص ١٦٠ .

١٥٣ـ تيكسرون في مختصر البترولوجيا ص ٢٩٧ .

وقد نشر لمار أفرام في روما الأب بطرس مبارك اليسوعي ومن بعده المطران يوسف سمعان السمعاني والمطران أسطفان عواد . ما بين عامي ١٧٣٢ ـ ١٧٤٦ ستة مجلدات كبيرة الحجم ضمت كل ما وجد في مكتبة الفاتيكان من مؤلفاته المنظومة والمنثورة ‥ ثلاثة مجلدات منها لما خط بالسريانية وثلاثة ما خط باليونانية منقولا عن السريانية وقد فقد الأصل وبقيت الترجمة . وقد ضمت هذه المجلدات الستة الصحيح والمنحول من مؤلفات مار أفرام ونشرت مع ترجمتها اللاتينية .

وقد أعاد طبعها الأب سليه في ستة مجلدات في باريس سنة ١٨٦٠ بعد أن صححها ونقحها وضم اليها ترجمته أيضاً .

ونشر الأب بولس بيجان اللعازري في ليبسيك عام ١٨٩٢ وصية مار أفرام الأخيرة التي نشرها بعدئذ البطريرك أفرام الثاني رحماني بالفرنسية في مجلة الآثار الشرقية السنة الثانية العدد السادس لشهر حزيران ١٩٢٧ ص ٤١ ـ ٥٧ و ١٧١ و ١٨٥ .

ونشر له البطريرك أفرام الأول برصوم قصة بطرس الرسول وذلك في صدر المجلد الأول من تاريخ الرهاوي المجهول عن مصحف في باسبرينة مخطوط في القرن التاسع(١٥٤) .

ونشر له اوفربك في اكسفورد عام ١٨٦٥ نقلا عن مخطوطات المتحف البريطاني . أربع منظومات وبعض رسائل وتنديد هراطقة زمانه وختمها بوصيته .

ونشر له غستاف بيكل في ليبزج عام ١٨٦٦ نقلا عن

١٥٤ـ اللؤلؤ المنثور ـ ص ٢٤٦ .

مخطوطات لندن (مدارج نصيبين) وهي ٧٧ نشيداً ونقلها الى اللاتينية ·

ونشر له توما يوسف لامي في مالين ما بين سنتي ١٨٨٢ ـ ١٩٠٢ أربعة مجلدات ضمت مخطوطاته في لندن واكسفورد وباريس ، وفيها الصحيح والمنحول · وقد ترجمها الى اللاتينية وطبع بعضها في اكسفورد وبعضها في لبسيك ·

ونشر له الأب بولس بيجان في ليبسيك عام ١٨٩١ اثنتي عشرة قصيدة أفرامية في يوسف بن يعقوب رجح علماء الاستشراق انها بقلم مار أفرام(١٥٥) ·

ونشر له البطريرك أفرام الثاني رحماني نقلا عن مخطوطة الفاتيكان(١٥٦) التي خطت عام ٥٢٣ م وغيرها مداريش وميامر وذلك في مطبعة الشرفة ـ لبنان عام ١٩٠٦ ـ ١٩٠٩ ·

كما نشر له في مجلة الآثار الشرقية الصادرة من المطبعة السريانية في بيروت سنة ١٩٢٦ و ١٩٢٧ ميامر ومداريش عديدة منقول بعضها الى العربية والفرنسية ·

ونشر له ادموند بيك في مقالات توالت منذ السنة ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤ في لوفان مترجمة الى الألمانية ·

وقد نقلت بعض مؤلفات مار أفرام الى اللغة اليونانية ، وهو حي ، « ومن محاسنها ان ترجمتها لم تفقدها شيئاً من عذوبة فصاحتها الفطرية فهي اذا قرئت باليونانية أحدثت نفس التأثير والاعجاب الذي تحدثه قراءتها في أصلها السرياني »(١٥٧) وقد

١٥٥ـ سيرة مار أفرام ـ للخوري اسحق أرملة ـ ص ١٨١ ·

١٥٦ـ مكتبة الفاتيكان تحت الأرقام ١١١ و ١١٢ و ١١٣ ·

١٥٧ـ سيرة مار أفرام السرياني ـ للخوري اسحق أرملة ـ ص ١٧٩ عن تاريخ الآداب السريانية تأليف المونسنيور بولس السمعاني ٢ : ٢٩ ·

نشرها باليونانية منقولة الى اللاتينية الأب بطرس مبارك اليسوعي والمطران أسطفان عواد ، في ثلاثة مجلدات وذلك في روما ما بين سنة ١٧٣٢ ـ ١٧٤٦ وقد ضمت الصحيح والمنحول كما ذكرنا آنفا(١٥٨) ٠

وقد نقلت بعض مؤلفاته الى العربية منذ أجيال عديدة وصل الينا منها احدى وخمسون مقالة نقلت من اليونانية اليها حوالي القرن الحادي عشر وأصلها السرياني مفقود ، نشر منها أربعون مقالة في مصر سنة ١٨٩٢(١٥٩) ٠

ووصل الينا من مؤلفاته أيضاً شروح (الدياطسرون) بالأرمنية وقد ضاع أصلها السرياني وحفظ نقلها الأرمني ونشره الرهبان الأرمن في مطبعتهم في البندقية عام ١٨٩٣ ٠ كما نقلت مؤلفاته الى القبطية والحبشية واللاتينية والانكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات ونشر بها بعض منها ٠

★ ★ ★

١٥٨ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٥٢ الحاشية ٠

١٥٩ـ المصدر السابق ص ٢٥١ ٠

الفصل السادس عشر

نقــد الســيرة

مر بنا آنفاً ان النصين اللذين وصلا الينا من سيرة مار آفرام قد أضيف اليهما زيادات دسها النساخ جهــلا ، وبعضها بعيــد عن التصديق ، وبعضها قد يكون جرى لناسك غير مار أفــرام ، ولا يصعب على الناقد النبيه النزيه تجريد السيرة منها ، ولا بد لنا في هذه العجالة أن نستعرض آراء بعض النقاد بصدد تعيين تاريخ الحوادث وفقاً لتسلسلها الزمني ، مشيرين الى ما لا صحة له من الحوادث والمبالغ فيه منها ٠

١ ــ ولادته : تذكر نسخة الفاتيكان انه ولد في بدء القرن الرابع ، في أيام قسطنطين المظفر (٣٠٦ ــ ٣٣٧)(١٦٠) وقد جاء في سيرته المطبوعة بالعربية في الموصل سنة ١٨٨٣ انه ولــد سنة ٣٠٠ وقال آخرون بل سنة ٣٠٣ كما جــاء ذلك في الدرر النفيسة للبطريرك أفرام الأول برصوم ــ حمص ١٩٤٠ ص ٥٢٣ وكذلك في كتاب المرجانة لعبد يشوع الصوباوي (+ ١٣١٨) بالسريانية طبعة الموصل سنة ١٩٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية للبطريرك يعقوب الثالث ج ١ ص ٢٤١ وعبقرية مار أفرام للأب برصوم يوسف أيوب ــ حلب ١٩٥٨ ص ١٣ وقال غــيرهم

١٦٠ــ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ــ الدكتور أسد رستم ــ بيروت ١٩٥٨ ج ١ ص ١٨٤ ٠

انه ولد سنة ٣٠٦ كما جاء في دائرة المعارف البريطانية طبعة ١١ لسنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ وكذلك قاموس اكسفرد للكنيسة المسيحية بالانكليزية طبعة لندن ١٩٥٨ ص ٤٥٥ والآداب السريانية للمستشرق روبنس دوفال ص ٣٣٠ وقال غيرهم انه ولد سنة ٣٠٨ كما جاء في الموسوعة الميسرة ـ القاهرة عام ١٩٦٥ ص ١٧٧ وارتأى آخرون أنه ولد سنة ٢٨٥ كما جاء في مجلة لسان المشرق في الموصل سنة ١٩٤٩ العددان ٨ و ٩ ص ٧٠ ٠

ويذكر كاتب سيرته أنه ولد من والدين وثنيين وأن أباه كاهن للصنم أبيزل الذي حطمه الملك يوبنيان فيما بعد ٠ والحال بمقارنتنا هذا الخبر بما كتبه مار أفرام عن نفسه يتضح لنا عدم صحته ٠ ذلك ان مار أفرام ولد مسيحياً ويقول عن والديه أنهما ربياه على مخافة الرب وحدثاه عما سبق فكابد آباؤه من العذاب في سبيل الحفاظ على الايمان ٠ وأنه سليل الشهداء(١٦١) كما يذكر في وصيته الأخيرة الحلم الذي رآه وهو فتى حيث نبتت كرمة في لسانه وأينعت آلاف العناقيد وربوات الخصل ، وقد فسر مار أفرام هذا الحلم فقال : ان العناقيد هي الأشعار ، والخصل هي الأناشيد ، مبارك من غرس الكرمة وكثر عناقيدها وخصلها »(١٦٢) فلا يعقل أن يكون قد ولد وثنياً ونشأ في بيت وثني وهو يشهد بحسن تربية أبويه له ، ويفسر حلمه بروح مسيحية ٠

وقد اشتط كاتب السيرة فسرد خرافة بغاية السخافة بقوله ان الصنم الذي كان أبوه يكهن له قد كلمه مرة قائلا : ان غضب

١٦١ـ انظر هنا الفصل الثالث ٠

١٦٢ـ انظر هنا الفصل الثالث أيضا ٠

الآلهة قد استعر عليه وسيبقى تحت طائلته ما لم يطرد من داره الصبي أفرام عدوهم الألد . فأطاع الأب أمر الشيطان وطرد ابنه أفرام من داره وهو فتى صغير .

وزاد كاتب السيرة عنصراً تشويقياً يعتبر العقدة في القصة وهو أن ساعور الكنيسة وكان اسمه أيضاً أفرام غرر بفتاة فحملت منه سفاحاً . وعندما افتضح أمرها وأمره ، اتفق واياها لتقول لأهلها كاذبة ان أفرام تلميذ مار يعقوب هو مصدر الفعل الشنيع . وهكذا رفع ذووها شكواهم الى مار يعقوب الذي بدوره استجوب مار أفرام فأجاب جواباً غامضاً حيث قال : « اعف عني يا أبت فاني خاطىء » . ولما حان الزمان لتلد الفتاة ولدت ابناً دفعته الى مار أفرام ليقوم بتربيته ، فصار بهذا موضع سخرية وهزء للناس ولكنه احتمل التجربة صابراً . وفي صباح يوم أحد دخل الكنيسة وهو يحمل الطفل على ذراعيه . واستأذن مار يعقوب واعتلى المنبر ، ووجه الى الطفل سؤالا قائلا : « أقسم عليك باسم يسوع المسيح خالق السماء والأرض وكل ما فيهما ، أن تقول لنا الحق من هو أبوك ؟ فنطق الطفل بأعجوبة وقال ثلاث مرات ، « ان أبي هو أفرام ساعور الكنيسة » قال هذا ومات . فلما شاهد الحاضرون ذلك وسمعوا كلام الطفل أخذتهم الدهشة واستولى عليهم الخوف وسكبوا الدموع السخية وطلبوا من القديس أفرام المغفرة لأنهم قد شكوا في طهره فصلى عليهم مع القديس يعقوب مسامحاً اياهم(١٦٣) .

يستبعد بعض النقاد هذه الحادثة ذلك أن القديس مار أفرام كان ذا صيت حسن وكان أريج سيرته يعبق في الكنيسة فلا يعقل أن يجرؤ ساعور الكنيسة بتوجيه تهمة كهذه اليه . ولعل

١٦٣ـ شهداء المشرق ـ طبعة الموصل ١٩٠٦ مج ٢ ص ٤٦ و ٤٧ .

مصدر شطط خيال كاتب السيرة هو قيام مار أفرام بعدئذ بتعليم الفتيات بنفسه الأمر الذي كان ثورة في الكنيسة عصرئذ ، ولكي يعمل الكاتب على اعلاء شأن القديس لدى المؤمنين اخترع هذه القصة الغريبة من نوعها ، وأضفى عليها صفة عجائبية ٠

٢ ـ عماده : من أخطاء نسخة الفاتيكان أنها تجعل تاريخ عماده بعد مغادرته نصيبين عام ٣٦٣ وتقول أنه جاء الى بيت كرماي واعتمد فيها وتعلم المزامير وتخرج في علم الكتاب المقدس وله من العمر ثمانٍ وعشرون سنة ٠

ليس للناقد اعتراض علي تأخير عماد أحد المؤمنين حتى سن الثامنة والعشرين فقد كانت العادة المتبعة لدى بعض المؤمنين في الأجيال الأولى أن يؤخروا عماد أولادهم ٠ ولكن ليس من المنطق أن يتأخر عماد مار أفرام حتى سنة ٣٦٣ لأن القصة نفسها تقول أنه حضر مجمع نيقية برفقة مار يعقوب أسقف نصيبين ، والحال ان المجمع قد عقد سنة ٣٢٥ ولابد من أن عمره كان ينوف على العشرين يومذاك ٠ أما مغادرته نصيبين نهائياً فقد كان سنة ٣٦٣ وعمره كان يناهز الستين ، آخذين بعين الاعتبار ما قاله كاتب السيرة ، نفسه أنه ولد في أيام قسطنطين الملك (٣٠٦ ـ ٣٣٧) ٠

ويذكر كاتب السيرة أنه تعلم المزامير بعد مغادرته نصيبين في حين أنه كان مديراً لمدرستها وقد وضع فيها أناشيده البليغة المعروفة (بالنصيبينية) فهل كان حتى ذلك الحين لا يعرف المزامير ولم ينل نعمة العماد ؟(١٦٤) ٠

فالأصح انه اعتمد في سن الثامنة عشرة ، وان ذلك جرى

١٦٤ـ تاريخ كلدو وآثور أدى شير ـ بيروت ١٩١٣ مج ٢ ص ٤٩ ٠

قبل رسامته شماساً وحضوره مجمع نيقية (٣٢٥) وقد اعتمد في بيت كرماي الواقعة ما بين نصيبين وديار بكر كما ارتأى بعضهم ٠

٣ ـ حضوره مجمع نيقية برفقة مار يعقوب النصيبيني سنة ٣٢٥ يؤيده العلامة ابن العبري (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦ +) في تاريخه الكنسي(١٦٥) ٠ وقد اعتمد بذلك على أصدق المؤرخين الذين سبقوه ٠ ولا عجب فقد حضر المجمع غيره من الشباب كأثناسيوس الذي كان هو الآخر شماساً يومذاك ورافق بطريرك الاسكندرية الى المجمع ٠

وان حضور أفرام مجمع نيقية يبرر اندفاعه العنيف في كل مناسبة للدفاع عن العقيدة التي قررها ذلك المجمع ٠

٤ ـ حصار نصيبين : حاصر الفرس نصيبين ، في عهد مار أفرام ، ثلاث مرات ، جرت المرة الأولى سنة ٣٣٨ وكان مار يعقوب أسقف المدينة حاضراً ، وقد توفي في هذه السنة ذاتها ٠ وكان الحصار الثاني سنة ٣٤٦ والحصار الثالث سنة ٣٥٠ أي بعد وفاة مار يعقوب باثنتي عشرة سنة ودام هذا الحصار سبعين يوما حيث حول شابور مجرى نهر مقدونيوس نحو سور المدينة فسقط السور وانتظر شابور يوماً كاملا لترجع المياه الى مجاريها ، وفي اليوم التالي حاول أن يدخل المدينة فصده عن ذلك سور جديد كان الشعب قد شيده قبل أن يسقط السور القديم ٠ وقد وهم بعض المؤرخين ومن بينهم مار ميخائيل الكبير بتاريخه الكنسي السرياني(١٦٦) أن مار يعقوب كان لا يزال على قيد الحياة في هذا الزمن وأنه كان يصلي في الهيكل

١٦٥ـ طبعة أبيلوس ولامي ١ : ٢٣ ٠

١٦٦ـ طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٣٤ و ١٣٥ ٠

وبصلاته رد شابور على أعقابه ، والحال أن مار يعقوب قد توفي سنة ٣٣٨ وأن هذا الحصار جرى سنة ٣٥٠ أي بعد وفاته باثنتي عشرة سنة ٠

أما مار أفرام فكان في مقدمة من شجع الشعب على القتال والصمود أمام العدو الغاشم والدفاع عن المدينة ،وكان ينظم خلال ذلك ميامره وأناشيده مؤرخاً هذه المعركة وانتهى من كتابة أشعاره فيها عند انتهائها حيث أظهر فرحته بالنصر(١٦٧) ٠

وتساور بعض النقاد الشكوك في صحة ما ذكر في السيرة من خلال سرد حوادث احدى المعارك السابقة أن شخصاً متوجاً ظهر على أسوار نصيبين وحارب الفرس وأرعبهم ، وان البق قد هاجم خيلهم فأربكها ، وهكذا هربوا عن المدينة خائبين ٠

٥ ـ أخطأ كاتب السيرة بأن جعل قسطنس الذي مات سنة ٣٥٠ والذي لم يملك في الشرق أبداً خلفاً لأخيه قسطنطين الذي كان حيا حتى سنة ٣٦١ ٠

٦ ـ لا صحة لما ذكر في سيرته من أنه عند قدومه الى الرها تفرغ للخدمة في حمام ، وان غالبية سكان الرها كانوا وثنيين ، وان يوليان الشيخ قد مر به ورآه يجادل وثنياً ، وبعد أن علم بخبره ، أشار اليه أن ينقطع للعبادة في جبل الرها ٠ فصعد معه مار أفرام الى الجبل ولبس الثوب الرهباني ، وتعبد وتنسك في مغارة ٠

يظهر عدم صحة هذه القصة من المركز الذي ناله مار أفرام

١٦٧ـ A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of Christian Church — Grand Rapids — Michigan — 1956 — Second Series, Volume XIII, PP. 140.

في نصيبين قبل مغادرتها حيث كان مدير مدرستها الشهيرة وكان شاعراً مجيداً دبج فيها الروائع فهل يعقل أن يأتي الى الرها ليخدم في حمام !؟ ونحن نعلم أن أساتذة مدرسة نصيبين وتلاميذها قد رافقوه الى الرها ، فهل كانوا يخدمون معه في الحمام أم أنهم واياه جاؤوا الرها ليجددوا مدرستها ويشاركوا نساكها العبادة في جبلها ؟ فان هذا هو المناخ الموافق للسيرة الرهبانية التي نشأوا عليها ٠

٧ ـ ويضيف كاتب السيرة أن الشيخ قد رأى في الحلم ملاك الرب نازلا من السماء وفي يده مدرج عليه كتابة ـ فقال للذين حوله « بيد من أسلم هذا المدرج ؟ فقالوا بيد الراهب أوكين ، قال : ان الرب لم يأمرني بهذا ، قالوا : اذن سلمه بيد الراهب يوليان ، فأجاب : لا يستحقه اليوم الا أفرام النصيبيني الذي في جبل الرها » وفي صباح اليوم التالي انطلق ذلك الراهب الى مار أفرام فرآه يكتب تفسير سفر التكوين فأيقن صحة الرؤيا ٠

ولما كمل تفسير السفر أخذه الى مدرسة الرها ، فاستدعى أساتذتها أفرام ، فهرب منهم ٠ ثم ظهر له ملاك الرب قائلا : حذار أن يتم فيك قول الكتاب « ان أفرام هرب مني نظير عجلة خرجت من تحت النير عاصية » (هوشع ١٠ : ١١) ؟ فانطلق الى مدرسة الرها وعلم ٠

ينكر بعض النقاد على مار أفرام تصرفاً كهذا ، لأن من يدرس سيرته يراه مندفعاً الى التعليم الى جانب النسك والتقشف ، حتى ان مار يعقوب السروجي في قصيدته في مدحه لم يذكره كناسك بل كمعلم ، ولذلك عندما غادر نصيبين اختار المجيء الى الرها خصيصاً ليعلم في مدرستها ٠ وقد فسر حقاً

الكتاب المقدس ويظهر أن كاتب السيرة أراد أن يتوج هذا التفسير بهالة الهامية فصاغ قصة الملاك والشيخ ، والهرب من مسؤولية التعليم ودسها في سيرته وذلك بعد موته بسنين أو أجيال عديدة ٠

٨ ـ وزاد على هذا تشبيه مار أفرام بمار بولس والهراطقة باليهود ، فذكر أن الهراطقة رجموا أفرام خارج الرها . وذلك كما فعل اليهود ببولس في لسترة (أ ع ١٤ : ١٩ ـ ٢٠) مع ان كاتب السيرة لم ينوه ببولس ولا باليهود ٠

٩ ـ كما انه شبهه ضمناً أيضاً ، بداود فذكر أن مار أفرام تظاهر بالجنون للهرب من كرامة درجة الأسقفية عندما دعي الى ذلك فتخلص من الذين دعوه تماماً كما فعل داود النبي عندما تظاهر بالجنون أمام أعدائه (اصم ٢١ : ١٣ ـ ١٥) فتخلص منهم ٠

١٠ ـ ودست في سيرته قصة قد تكون جرت لناسك آخر وهي أن امرأة فاجرة أتته يوماً لتوقعه في حبائلها فأجاب القديس الى سؤالها بشرط أن يكون ذلك أمام الناس في السوق ، فاستغربت منه المرأة هذا الشرط القاسي وقالت كيف يكون هذا والناس يتطلعون علينا ، أجابها فكيف تريدين أن نقترف هذه الخطية وخالق السماء والأرض ينظر الينا ٠ أما تخافين الله الموجود في كل مكان ! ٠ وهكذا جذبها الى التوبة ٠

١١ ـ وحدث مرة اذ كان القديس في بيت يهيء له طعاماً ، أشرفت عليه امرأة من نافذة ، وقالت له : أما يعوزك شيء يا راهب ؟ أجابها نعم يعوزني ثلاثة أحجار وقليل من الطين لأسدّ هذه الكوة التي بيني وبينك ٠ ويستبعد النقاد هذه الخشونة من مار أفرام الذي اعتاد أن يكون في الكنيسة مع

الفتيات والعذارى اللواتي يرى فيهن جميعاً بنات له روحيات ولم يغلق على نفسه باب مغارته كما فعل العديد من النســاك ٠

١٢ ـ زيارة مصر وقيصرية قبدوقية : ـ

ذكر كاتب السيرة ان مار أفرام قضى ثمــاني سنوات في زيارة مصر وقيصرية قبدوقية ٠ فيرى بعض النقاد ان مار أفرام لم يقم بهذه الزيارة داعمين رأيهم هذا ببعد المسافة وبانشغاله في الرها وقصر في الفترة الزمنية ما بين انتقاله اليها وموته وهي عشر سنوات لا يمكن أن يقضي منها ثمانياً خارج الرها ذلك أن احتلال الفرس لنصيبين جرى سنة ٣٦٣ فغادرها وصحبــه الى بيت كرماي ثم ديار بكر فلم يصلوا الى الرها حتى سنة ٣٦٤ وفي الرها تنسك ، وعلم ، واجتهد في مناهضة الهراطقة ٠ وهــذا العمل يتطلب سنين طويلة ، وتوفي سنة ٣٧٣ ٠

فان كانت مدة مكوثه في مصر ثماني سنوات فينتج من هذا أنه لم يمكث في الرها سوى سنتين ، وهذا أمر مستحيل اذا قيس بما أنجزه من أعمال جبَّارة في الرهــا ٠ لذلك ارتــأى بعض النقاد وهم أكثر اعتدالا من الأولين بأن مار أفرام قد زار حقاً مصر وقيصرية قبدوقية ولكنه مكث فيهما سنتين فقط ٠ وقد بدأ رحلته قبيل نهاية عام ٣٦٩ وعــاد الى الرها قبيل نهايــة عام ٣٧٢ والتقى في مصر بنساك عديدين منهم الأنبا بشواي ، كما زار في قيصرية قبدوقية القــديس باسيليوس الذي رســم أسقفاً في أواخر سنة ٣٧١ وكان موعد زيارة مار أفرام له عيد الدنح سنة ٣٧١ وعاد الى الرها قبيل نهاية سنة ٣٧٢ حيث كان فيها عندما حلت المجاعة فيها في شتاء سنة ٣٧٢ ـ ٣٧٣ وقام في غضون تلك السنة بجمع الصدقات ، واشباع الجياع ، وايواء

الغرباء ، والاعتناء بالمرضى . وتوفي في حزيران سنة ٣٧٣ .
لذلك فمدة زيارته لمصر وقيصرية قبدوقية لا تتجاوز السنتين .

ويستنكر بعض النقاد ما دس في حادثة هذه الزيارة من ذكر معجزات اقتبست من الكتاب المقدس ونسبت الى مار أفرام كتهدئة العاصفة التي هبت خلال السفرة وتسكيته البحر الهائج بكلمة . كما فعل السيد المسيح (مر ٤ : ٣٩) وابادة حوت في البحر وموهبة التكلم بلغات عديدة التي منحت له ولبشواي الناسك القبطي في مصر وللمار باسيليوس الكبير في قيصرية قبدوقية كما كانت قد وهبت للرسل والتلاميذ يوم الخمسين (أع ٢) . وترك عصاه في وادي النطرون آمام قلاية الأنبا بشواي فأورقت وصارت شجرة كبيرة لا تزال تعرف حتى اليوم « بشجرة مار أفرام السرياني » وهي في ساحة دير السريان في وادي النطرون الواقع في البرية ما بين القاهرة والاسكندرية . وهذه الأعجوبة اقتبست من العهد القديم حيث أفرخت عصا هارون وأعطت لوزا (عد١٧ : ٨) ويقول بعضهم ان الرهبان السريان قالوا بها لتثبيت مركزهم في مصر ولاقامة علاقة ما بين مار أفرام الراهب السرياني الشهير وما بين الأنبا بشواي أحد كبار النساك المصريين . ونسبوا لمار أفرام رده راهباً عن الهرطقة في مصر ، في مجال محاربته الهراطقة هناك .

كما نسبوا اليه اعادة الحياة الى شاب لدغته أفعى لأنه تهكم بالقديس في سميساط ، بما يشابه ما جرى للفتيان الذين تهكموا باليشاع النبي (٢ مل ٢ : ٢٣ ـ ٢٤) .

ومن العجائب التي نسبت اليه بعد عودته الى الرها شفاء مخلع على باب كنيسة مار توما في الرها . وقد اقتبست من شفاء

الرسولين بطرس ويوحنا لمخلع على باب الهيكل المسمى بالجميل في أورشليم (أ ع ٣) ·

وكذلك اختفاء خطايا الخاطئة التي كتبت خطاياها على قرطاس قدمته للقديس باسيليوس في قيصرية قبدوقية فمحيت كلها ما عدا واحدة فأرسلها مار باسيليوس الى مار أفرام قائلا لها : ان مار أفرام وحده قادر على أن يمحو تلك الخطية، ثم أعادها مار أفرام الى مار باسيليوس مشيراً اليها أن تسرع بالسفر لتلتقي به قبل موته ، فجاءت ووجدت جثمان مار باسيليوس يشيع الى مقره الأخير في قيصرية ، فوضعت القرطاس على جثمانه فمحيت الخطية · ويفضح كذب هذه القصة أن مار أفرام توفي سنة ٣٧٣ أما وفاة مار باسيليوس فكانت سنة ٣٧٩ أي بعد مار أفرام بست سنوات ·

أما ما يستنكره أغلب النقاد فهو ما ذكره في النص اليوناني ولم يذكر في النص السرياني للسيرة من أن صديقاً غنياً ، لغيرته ومحبته لصديقه مار أفرام أهدى ثوباً ثميناً نفيساً ليلف فيه جثمان القديس عند موته ، ولأجل هذا الخطأ الذي صدر عنه عن نية صادقة أسلمه مار أفرام الى ابليس ، وهذه الحادثة تسيء الى القديس مار أفرام وتجعل منه انساناً ظالماً ، ولعل كاتب هذه الخرافة قد وجد مبرراً بدسها بالسيرة من طلب مار أفرام من أصدقائه بقسم ، أن لا يضعوا على جثمانه ثوباً نفيساً وأن يدفنوه في مقبرة الغرباء ·

ولا غرو فعلى أضرحة الآباء ومقابر الشهداء تنمو عادة العجائب وتنسب اليهم وتقتبس أغلب هذه المعجزات من حوادث الكتاب المقدس مما جرى على أيدي الأنبياء والرسل · حتى قد تقتبس من بعض العجائب التي اجترحها السيد المسيح ، لذلك يرى بعض النقاد أن تاريخ ما نسب الى مار أفرام من معجزات

يعود الى ما بعد تاريخ وفاته بأجيال · ولا يعني هذا أن هؤلاء النقاد لا يؤمنون بالمعجزة فعجائب الله في قديسيه » كما يقول الكتاب ، والله تعالى هو هو أمس واليوم والى الأبد ولا يمكن أن تقتصر المعجزات على زمن معين من الأزمنة أو عصر من العصور ، أو مكان خاص ، ولكن الأعجوبة انما تصنع بقوة الله تعالى لاثبات أمر الهي كأثبات رسالة صانعها (حز ٤ : ٨) أو لجذب الناس لمعرفة الله (مر ١٦ : ٢) وتثبت صحتها بشهود صادقين لذلك لا يقر الناقد بصحة أعجوبة ما ، ما لم تكن مدعومة بالبراهين التاريخية الدامغة تجعل منها احدى الحقائق التاريخية الصادقة · وقد نسيء الى كرامة قديس ما اذا نسبنا اليه ما لم يقم به من معجزات ·

١٣ ـ يشك الناقد بوجود مار أفرام في الحياة عندما أتى والنس الملك الى مدينة الرها ونفى أسقفها مار برسا · فان نفيه كان في شهر ايلول من سنة ٣٧٣ أي بعد ثلاثة أشهر من تاريخ وفاة مار أفرام التي جرت في ٩ حزيران ٣٧٣ · وقد يكون بعضهم قد أرخ هذه الحادثة بأناشيد سريانية نسبت لمار أفرام وهي ليست له(١٦٨) ·

١٤ ـ وهم كاتب السيرة بذكر هجوم الهونيين على الرها وسائر بلاد ما بين النهرين في عهد مار أفرام فسلبوا المال وقتلوا الرجال ، فان هذه الحادثة قد جرت سنة ٣٩٦ أي بعد وفاة مار أفرام بثلاث وعشرين سنة ·((١٦٩)

١٦٨ـ تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤٨ و ٤٩ عن التاريخ الرهاوي في السمعاني ١ : ٤٠٠ ودوفال ـ الآداب السريانية ٣٣٥ ·

١٦٩ـ المصادر السابقة ·

الفصل السابع عشر

أقوال مأثورة لمار أفرام

من قصيـــدة له في العلـــم(١٧٠)

ـ اللهم امنح علماً مَن يحب العلم . واجعل الأستاذ الذي يحسن التعليم عظيماً في ملكوتك ·

ـ ان الذي يحب العلم يكون دائم النشاط ، ومن يحب الكســل لا يستطيع النجاح ·

ـ فاقتـن لنفسـك أيها الانسـان الاجتهاد فانـه كنز العـلم العظيم ، وتجنب الكسل لأنه من الخسائر ملآن ·

ـ اتخذ لك أصدقاء من رجال الله وأحبائه ، أما محبو الســكر فلا ترافقهم حتى في الطريق ·

ـ اقتن الذهب بمقدار أما العلم فاكتسبه بلا حد لأن الذهــب يكثر الآفات وأما العلم فيورث الراحة والنعيم ·

ـ كن في فتوتك متواضعاً لترتفع في شيخوختك · وعوّد نفسك العوائد الصالحة لتحيا حياة مغبوطة ·

١٧٠ـ نشرت ترجمتها العربية في المجلة البطريركية السريانيـة في القدس السنـة الرابعة العدد ١ كانون الثاني ١٩٣٧ ص ٥٢ ـ ٥٦ وعنها ننقل هذه السـطور كما نشر النص السرياني وتعريبه في عبقرية مار أفرام ص ٧٧ ـ ٨٥ ·

- خصص لكل أمر وقتاً واسلك بترتيب ، واجعل وقتاً للأكل والشرب وكذلك للعلم ٠
- ان الحكمة أفضل من الزينة ، والعلم خير الأمور وان فتىً حدثاً حكيماً خير من ملك شيخ جاهل ٠
- أكرم الشيوخ واجلس دائماً عند أقدامهم واصغ الى أقوالهم ٠
- ان العلم يضفر آكليلا ويتوج به رأس محبيه ويرفع من المزبلة الى عرش الملك ٠
- لتكن لك الكتب بمنزلة موائدك فتشبع منها لذة ، ولتكن بمثابة فراشك فترقد سنة الراحة ٠

★ ★ ★

من قصائده في قصة يوسف(١٧١)

- الحسد سهم نافذ يقضي على راميه
- اذا دس الحراث الزؤان بالزرع حصد منه شوكاً ٠
- من يمتلك ذهباً خالصاً لا يخشى من امتحانه بالنار ٠
- لا يفارق المرجانة جمالها أينما كانت ٠
- ليراع العدل ، وليطل السامع روحه ٠
- ليس بكثرة البنين تكون الحياة للآباء ٠
- اذا شاء رب البرايا قام الولد الواحد مقام الكثيرين ٠

١٧١ـ عربها ونشرها بالطبع ـ الخوري اسقف بولس السمعاني جونيه ـ لبنان ١٩٤١ ٠

ابتهال : من قصيدة له في نقاوة القلب

ننقل الى العربية ما يلي :

اللهم اخلق فيَّ : قلباً نقياً ، عفيفاً طاهراً ، بسيطاً، لا يفكر بالشر ، ولا تأوي اليه الشهوات .

قلباً نقياً ، لا يعرف الثلب ولا يغتاب قريبه .

قلباً نقياً ، يملأه الحب دائماً ، وفي كل حين يبتغي الأمان والسلام لكل انسان .

قلباً نقياً ، يحب الصوم والصلاة والسهر واذلال الجسد والعمل والتعب دائماً .

قلباً نقياً يبتغي التواضع ويلزم السكينة والبشاشة مع الجميع .

قلباً نقياً أكلته غيرة بيتك ، ولا يقعد عن مناصبة مخالفي شريعتك .

قلباً نقياً يحب الصدقات ويوزعها ويشفق على ذوي الحاجة ويرأف ببني جلدته .

يا محب البشر ضع فيَّ مثل هذا القلب واغرس فيه مخافتك كالغرسة النامية .

★ ★ ★

تعريب مدراش

في يوحنا المعمدان(١٧٢)

١ ـ طوبى لك يا ابن العاقرة ، فقد صارت يدك أهلا لتوضع على هامته (المسيح) . وانك عمدت من عمد الأمم بتعليم النار والروح القدس . طوبى لعقلك اذ ارتعب ولم يقو على الدنو (منه) ولفهمك حيث انك لم تعص عندما أمرت . لقد شقت السماء ، واندهشت الملائكة ومجدت لأن مطهر الكل قد اعتمد .

٢ ـ طوبى لك يا يوحنا فانك عظيم في الأنبياء أولئك الذين ، من بعيد تاقوا الى رؤية المسيح الابن لكنهم لم ينظروه . أما أنت فقد وضعت يدك على رأسه .

ولأنك لبست الناموس خدمت بغيرة ، وتسربلت بالمسيح ، أظهرت الحنان . بشخصك نزل ايليا آتياً (الى العالم) من حيث لم يأت بل قد مثلته بعملك .

٣ ـ طوبى لك يا نهر الأردن الصغير ، فان البحر النقي الرائق نزل واعتمد فيك . انك لا تستوعب بخار قطرة منه ، فهو مصدر الحياة ومطهر الذنوب ، طوبى لينابيعك التي تنقت بنزول القدوس حيث تواضع فاستحم فيك وبعماده فتح المعمودية لتطهير النفوس .

١٧٢ـ مداريش مار أفرام في البتولية ـ نشره البطريرك أفرام الثانى رحمانى ـ الشرفة ـ لبنان ١٩٠٦ ـ ص ٤٥ .

تعريب مدراش في الفردوس(١٧٣)

بعين الفكر شاهدت الفردوس واذا بقمم الجبال كافة لا تطال علوه الشاهق ، انه يتلألأ بنوره الوهاج ويجذب المرتقين اليه ببهاء جماله · تعبق جوانبه بالروائح الطيبة · وسحبه المجيدة صارت مظالاً لمن يستحقون الدخول اليه · يمتطي الأبرار سحباً ويطيرون في الجو صاعدين الى الفردوس ليرثوه ، كل حسب جهاده · قاعه للتائبين ، ووسطه للأبرار ، وقمته للكاملين ، والعرش لرئيسه ···

ان نوحاً في فلكه آوى البهائم في الطابق السفلي ، وآوكر الطيور في الطابق الأوسط ، وتربع كاله في الطابق العلوي ·

ان الذي غرس الجنة الغناء ، بنى الكنيسة الطاهرة ونبتت فيها شجرة المعرفة ·

لقد ابتهج ولكنهم لم يفرحوا ، وحذر ولكنهم لم يخافوا ، وغرس الكلمة في الكنيسة ، مواعيدها مفرحة وتهديداتها مرعبة ، من يحتقرها يهلك ، ومن يتمسك بها ، يحيَ ·

★ ★ ★

١٧٣ـ طبعة ادموند بيك ـ في لوفان ١٩٦٠ مج ١٧٨ ص ٢ ·

الفصل الثامن عشر

أشهر تلاميذ مار أفرام

لا بد من أن تخرّج على مار أفرام ، في مدرستي نصيبين والرها ، عدد وافر من التلاميذ ، طبعوا على غراره ، ولكنهم لم يبلغوا منزلته العلمية ، اشتهر منهم :

١ ــ آبا : الذي فسّر الدياطسرون ، وله مقالة في أيوب(١٧٤) ومقالة أخرى في الآية التاسعة من المزمور الثاني والأربعين، ونصائح منظومة . وقد جادل مكسيموس الاريوسي(١٧٥) .

٢ ــ زينوبيوس : كان شماساً في الرها ، كتب سيرة معلمه ، وله رسائل وردود على مرقيون وبمفيل ذكره الصوباوي بين المؤلفين اليونانيين(١٧٦) ولم يبق له سوى خطابين نشر أحدهما في مجلة الشرق المسيحي(١٧٧) .

١٧٤ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢٥٢ عن فهرست مكتبة لندن لرايت ص ٩٢٢ .

١٧٥ـ تاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٥١ عن التاريخ السعرتى ١ : ٢١٠ والآداب السريانية لدوفال ص ٧٦ .

١٧٦ـ الدرر النفيسة ص ٥٢٦ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٣ وكلدو وآثار مج ٢ ص ٥١ عن السمعانى ٣ : ١ : ٤٣ .

١٧٧ـ أدب اللغة الآرامية ـ ص ٨٩ طالع أيضا مجلة الشرق المسيحى الدورية ٢٦ لسنة ١٩٦٠ ص ٣٠١ ـ ٣٠٦ وبومشترك ص ٦٦ ، ودوفال ص ٣٣٥ ودي اوربينا ص ٨٥ .

٣ ـ آسونا : شاعر مجيد ، له ميامر وأناشيد على البحرين الرباعي والسداسي ومداريش في الموتى ، قال عنه أنطون الفصيح انه كان قبل مار أفرام(١٧٨) أما السعرتي فيعده من تلاميذه ٠ وهو الرأي الأرجح(١٧٩) « وآل به الأمر الى الضلالة بالخيالات الباطلة فمات شقياً »(١٨٠) ٠

٤ ـ قورلونا : شاعر بارع ، نظم قصائد نفيسة في القمح وآفات عصره ، وفي غزوة الهون التتر لبلاده ما بين سنتي ٣٩٤ و ٣٩٦(١٨١) نشر بيكل النمساوي سنة ١٨٧٣ جملة من قصائده في الصليب والفصح والحنطة وغيرها مترجمة الى الألمانية وذلك عن مصحف محفوظ في لندن تحت رقم ٤٥٩١ يرقى تاريخ نسخه الى القرن السادس(١٨٢) ٠

٥ ـ القس عبسميا : وهو ابن أخت مار أفرام ، نظم ميامر ومداريش في غزو الهون لبلاد ما بين النهرين والشام سنة ٣٩٥ قال عنه البطريرك السرياني مار ديونيسيوس انه عُرف سنة ٣٩٧ وأما عبد يشوع الصوباوي فيسميه عبشلاما(١٨٣) ٠

١٧٨ـ الدرر النفيسة ص ٥٢٦ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٣ عن معرفة الفصاحة لأنطون الفصيح ق ١٠ م ٥ ٠

١٧٩ـ كلدو وآثور مج ٢ ص ٥١ وادب اللغة الآرامية ص ٩٠ ٠

١٨٠ـ الدرر النفيسة ص ٥٢٦ ٠

١٨١ـ المصدر السابق والآداب السريانية ج ١ ص ١٧٢ ٠

١٨٢ـ كلدو وآثور مج ٢ ص ٥١ والآداب السريانية ج ١ ص ١٧٣ ٠

١٨٣ـ الدرر النفيسة ص ٥٢٦ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٤ وكلدو وآثور مج ٢ ص ٥١ عن السمعاني ١ : ١٦٥ ٠

٦ ـ شمعون السميساطي : كاتب سيرة أستاذه(١٨٤) ٠

٧ ـ يوليان : وضع أناشيد بيعية وفنَّد مرقيون وغيره من المبتدعين(١٨٥) ٠

٨ ـ القس اسحق الآمدي : قيل انه أخذ عن مار أفرام في الفترة التي قضاها في آمد (ديار بكر) سنة ٣٦٣ بطريق سفره من نصيبين الى الرها ٠ وقد نظم اسحق قصائد بليغة وتوفي بعد سنة ٤١٠(١٨٦) ٠

★ ★ ★

١٨٤ـ المصادر السابقة وتاريخ السعردى ١ : ١٧٩ ٠

١٨٥ـ الدرر النفيسة ص ٥٢٦ ٠

١٨٦ـ المصدر السابق واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٤ وكلدو وآثور مج ٢ ص ٥١ عن السمعاني ١ : ١٦٥ و ١٦٨ ٠

أهم مصادر الكتاب

١ ـ ابن العبري : العلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفريان المشرق (+ ١٢٨٦) ٠

آ ـ تاريخ مختصر الدول ـ بالعربية طبعة الصالحاني بيروت ١٩٥٨٠

ب ـ التاريخ الكنسي بالسريانية ـ طبعة لوفان ١٨٧٢ ٠

٢ ـ أدى شير : (مطران سعرد الكلداني الآثوري) ٠

آ ـ تاريخ كلدو وآثور بالعربية ٠ المجلد الثاني ـ مطبعة اليسوعيين ـ بيروت عام ١٩١٣ ٠

٣ ـ اسحق أرملة (الخوري) ٠

سيرة مار أفرام السرياني بالعربية ـ طبعة بيروت ١٩٥٢ ٠

٤ ـ أسد رستم (الدكتور) ٠

آ ـ تاريخ الروم ـ بالعربية ـ طبعة بيروت ١٩٥٥ ٠

ب ـ كنيسة مدينة الله أنطاكية بالعربية ـ طبعة بيروت ١٩٥٨ ٠

٥ ـ أفرام برصوم (البطريرك مار أغناطيوس افرام الأول) ٠

آ ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة بالعربية طبعة حمص ١٩٤٠ ٠

ب ـ اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية بالعربية ـ طبعة حلب ١٩٥٦ ٠

٦ ـ أفرام رحماني : (البطريرك مار أغناطيوس أفرام رحماني الثاني) ٠

آ ـ مداريش مار أفرام في البتولية ـ بالسريانية مطبعة الشرفة ـ لبنان عام ١٩٠٦ ٠

ب ـ المباحث الجلية بالعربية ـ مطبعة الشرفة ـ لبنان عام ١٩٢٤ ٠

٧ ـ افرام بولس (المطران مار أثناسيوس) ٠
عِبَر في سير ـ بالعربية ـ طبعة القامشلي ١٩٦٣ ٠

٨ ـ البير أبونا (الأب) ٠
ادب اللغة الآرامية ـ بالعربية طبعة بيروت ١٩٧١ ٠

٩ ـ اوجين تيسران (الكاردينال) ٠
خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ـ تعريب المطران سليمان صائغ طبعة الموصل عام ١٩٣٩ ٠

١٠ـ ايسيذورس (الأسقف) ٠
الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ـ بالعربية طبعة مصر ١٩١٥ ٠

١١ـ برصوم يوسف أيوب (الخورفسقفوس) ٠
عبقرية مار أفرام السرياني بالعربية ـ طبعة حلب ١٩٥٨ ٠

١٢ـ بطرس نصري (القس) ٠
ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان بالعربية ـ طبعة الموصل عام ١٩٠٧ ٠

١٣ـ ولس بيجان (الأب) ٠
مجموعته السريانية التي تضم وصية مار أفرام الأخيرة ـ طبعة باريس عام ١٩٠١ ٠

١٤ـ دائرة المعارف البريطانية ـ بالانكليزية ٠
الطبعة الحادية عشرة ـ سنة ١٩١٠ المجلد التاسع ٠

١٥ـ عيسى أسعد (الخوري) ٠
الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية بالعربية ـ طبعة حمص ١٩٢٤ ٠

١٦ـ فولوس كبريال وكميل أفرام البستاني ٠
الآداب السريانية ـ بالعربية ـ بيروت ١٩٦٩ ٠

١٧ـ فيليب دي طرازي (الفيكونت) ٠
عصر السريان الذهبي ـ بالعربية ـ بيروت ١٩٤٦ ٠

١٨- قاموس اوكسفرد في الكنيسه المسيحيه - بالانكليزية - ٠
طبعة لندن ١٩٥٨ ٠

١٩- المكتبة المختارة لآباء نيقية - بالانكليزية - ٠
طبعة مشيغن - الولايات المتحدة سنة ١٩٥٦ القسم الثاني المجلد الثالث عشر ٠

٢٠- الموسوعة العربية الميسرة - باشراف محمد شفيق غربال مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ ٠

٢١- ميخائيل الكبير (البطريرك + ١١٩٩) ٠
كتاب التاريخ الديني المدني العام بالسريانية طبعة شابو - باريس ١٨٩٩ ٠

٢٢- ياقوت الحموي ٠
معجم البلدان - بالعربية طبعة صادر - بيروت ١٩٥٧ ٠

٢٣- يعقوب الثالث (البطريرك مار أغناطيوس) ٠
تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية - بالعربية - بيروت ١٩٥٣ ٠

٢٤- يوحنا دولباني (المطران مار فيلكسينوس) ٠
الشعر عند السريان - بالسريانية تعريب الخورفسقفوس برصوم يوسف أيوب - طبعة حلب ١٩٧٠ ٠

٢٥- يوسف الدبس (المطران) ٠
تاريخ سورية - بالعربية - طبعة بيروت ١٨٩٩ ٠

★ ★ ★

فهرست الكتاب

	ص
تصدير	٥
الفصل الأول ـ عرض عام	٧
الفصل الثاني ـ المصادر القديمة لسيرة مار أفرام	١٧
الفصل الثالث ـ ولادة مار أفرام ونشأته وهجره العالم	٢٣
الفصل الرابع ـ تلمذته لمار يعقوب أسقف نصيبين وجهاده في ادارة مدرستها	٢٧
الفصل الخامس ـ رهبنته	٣٣
الفصل السادس ـ مار أفرام في الرها	٣٨
الفصل السابع ـ مدرسة الرها	٤١
الفصل الثامن ـ التيارات الفكرية الدينية الخطرة التي ظهرت في المسيحية في قرونها الأولى	٤٣
الفصل التاسع ـ الفكر الديني لدى مار أفرام	٤٨
الفصل العاشر ـ مار أفرام يزور مصر	٥٢
الفصل الحادي عشر ـ مار أفرام يزور مار باسيليوس أسقف قيصرية قبدوقية	٥٤

ص

الفصل الثاني عشر ـ مار أفرام أول مؤلف جوقة من الفتيات السريانيات ٥٦

الفصل الثالث عشر ـ مار أفرام والجوع في الرها ٥٨

الفصل الرابع عشر ـ وصية مار أفرام ٦١

الفصل الخامس عشر ـ آثار مار أفرام ٦٣

الفصل السادس عشر ـ نقد السيرة ٧٦

الفصل السابع عشر ـ أقوال مأثورة لمار أفرام ٨٨

الفصل الثامن عشر ـ أشهر تلاميذ مار أفرام ٩٣

أهم مصادر الكتاب ٩٧

★ ★ ★

مطابع ألف باء الأديب
دمشق

ܒܝܬ ܐܦ̈ܪܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Syriac Literature: Ephraim

Beth Mardutho Library

مطابع ألف باء الأديب

دمشق

مطابع ألف باء الأديب
دمشق